الدار الآخرة

النار عبر وعظات

الشيخ ندا أبو أحمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الدَّارُ الأَخِرَة
النَّــارُ عِبَرٌ وَعِظَاتٌ

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شــريك لــه وأشـــهد أن محمــداً عبــده ورسوله..........

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [سورة آل عمران: ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَـثِيرًا وَنِسَــاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [سورة النساء: ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا {٧٠} يُصْلِحْ لَكُمْ أعمالكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِـعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ــ تعالى ــ وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الغزالي –رحمه الله – في كتابه "إحياء علوم الدين" (٥/٢٢٥):

"فيا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال، دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه، واصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع، إذ قال تعالى:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً{٧١} ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً}

[مريم:٧١-٧٢]

فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك، فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد، فعساك تستعد للنجاة منه، وتأمَّل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شُعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، سمعوا لها زفيراً وجرجرة تُفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب، وجثت الأمم على الركب حتى أشفق الأتقياء من سوء المنقلب، وخرج المنادي من الزبانية قائلاً: "أين فلان بن فلان، المُسوِّف نفسه في الدنيا بطول الأمل، المُضيِّع عمره في سوء العمل؟

فيبادرونه بمقامع من حديد، ويستقبلونه بعظائم التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه في قعر الجحيم، ويقولون له: {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ }[الدخان:٤٩]، فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك، قد شُدَّت أقدامهم إلى النواصي، واسودَّت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها: "يا مالك قد حقَّ علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود، فتقول الزبانية: "لا خروج لكم من دار الهوان فاخسأوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نُهيتم عنه تعودون، فعند ذلك يقنطون، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يكبون على وجوههم مغلولين، طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون في مضايقها، ويتحطمون في دركاتها، ويضطربون بين غواشيها، تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل، ومهما دعوا بالثبور صُبّ من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجَّر الصديد من أفواههم، وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم ،ويسقط من الوجنات لحومها، ويتمعَّط من الأطراف شعورها بل جلودها كلما نضجت جلودهم بُدِّلوا جلوداً غيرها، قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون، قد أُعميت أبصارهم، وأُبكمت ألسنتهم، وقصمت ظهورهم، وكُسرت عظامهم، وجُدعت آذانهم، ومُزقت جلودهم، وغُلت أيديهم إلى أعناقهم، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم، وهم يمشون على النار بوجوههم، ويطأون حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سار في بواطن أجزائها وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائها، هذا بعض جملة أحوالهم.

ثم انظر إلى تفاوت الدركات، فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً، فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت، فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها، ومن خائض فيها إلى حدٍّ محدود، فكذلك تناول النار لهم متفاوت، فإن الله لا

يظلم مثقال ذرة، فلا تترادف أنواع العذاب على كل مَن في النار كيفما كان، بل لكل واحد حدّ معلوم على قدر عصيانه وذنبه، إلا أن أقلهم لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه، *قال رسول الله* –رحمه الله–: "أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: رجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه" (رواه مسلم)، فانظر الآن إلى مَن خُفف عليه، واعتبر بمَن شُدد عليه، ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرِّب أصبعك من النار وقِس ذلك به، ثم اعلم أنك أخطأت في القياس، فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم، ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا هو عذاب النار؛ عُرف عذاب جهنم بها وهيهات! لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هرباً مما هم فيه.

فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة، وتفصيل عمومها وأجزائها ومحنها وحسرتها لا نهاية له، فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنَّة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا، أياماً قصيرة وكانت غير صافية، بل كانت مكدرة منغصة، فيقولون في أنفسهم: "واحسرتاه! كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا! وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياماً قلائل، ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان؟ فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم من الخير ما فاتهم، وبُلوا بما بُلوا به، ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها، ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنَّة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم.

- *وقال أحمد بن حرب: "إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجَنَّة على النار..."*
- *وقال عيسى* عليه السلام: "كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح؛ غدا بين أطباق النار يصيح.."
- *وقال داود* عليه السلام: "إلهي لا صبر لي على حرِّ شمسك، فيكف صبري على حرِّ نارك؟". اهـ

أحبتي في الله... إننا في حاجة شديدة للحديث عن النار خصوصاً في هذه الزمان، حيث قست القلوب، وتحجَّرت العيون، وقد كان من هدي النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه يتعاهد أصحابه بمواعظ توجل منها القلوب، وتذرف منها العيون".

- يقول العرباض بن سارية ﵁ كما في "سنن أبي داود":

"وعظنا رسول الله –رحمه الله– موعظة بليغة؛ وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون..." الحديث

- ويقول أنس ﵁ كما عند البخاري:

"خطب رسول الله –رحمه الله– خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، فغطَّي أصحاب رسول الله –رحمه الله– وجوههم ولهم خنين(١)"

ونحن كذلك ينبغي علينا أن نأخذ بزمام النفس ونذكرها بما خوَّف الله به عباده وحذَّرهم منه، وقد حذَّر الله تعالى عباده أشد التحذير وأنذرهم غاية الإنذار، فقال تعالى: **{فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى}** [الليل:١٤]

- وكذلك حذَّر النبي – صلى الله عليه وسلم– *وأنذر، فجعل ينادي ويقول:*

"أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار"

والحديث عن النار يحرك القلوب ويبعث فيها الخوف، والخوف هو الذي يسوق العباد إلى خشية الله وتقواه، والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه، فالخوف سراج في القلب يحرق مواضع الشهوات فيه، ويطرد الدنيا منه، فيتحرر من قيود الهوى لينطلق ويسكن تحت العرش.

فهيا أخي الحبيب... تعال لنتعرف على النار دار البوار، ومأوى الاشرار

نسأل الله أن ينجينا منها بمَنِّه وكرمه

(١) الخنين: هو البكاء مع غنة بانتشار الصوت من الأنف.

١) أسماء النار:

للنار عدة أسماء منها:-

١- جهنم: قال تعالى: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً} [النبأ:٢١]

وقال تعالى: {وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الملك:٦]

٢- الجحيم: قال تعالى: {وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ} [التكوير:١٢]

وقال تعالى: {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ}[الدخان:٤٧]

وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم، ومنه قوله تعالى: {قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ} [الصافات:٩٧]

٣- السَّعير: قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك:١٠]

وقال تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً}[الفرقان:١١]

٤- سَقَر: قال تعالى: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ{٢٦} وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ{٢٧} لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ{٢٨} لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ} [المدثر:٢٦-٢٩]

وقال تعالى: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ{٤٢} قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ} [المدثر:٤٢-٤٣]

٥- الحُطَمة: قال تعالى: {كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ{٤} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ{٥} نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ} [الهمزة:٤-٦]

والحطم: الكسر، وقيل: "هو كسر الشيء اليابس خاصة، كالعظمة ونحوه" (لسان العرب: ١٣٧/١٢)

وسميت النار بذلك؛ لأنها تحطم رأس وعظم مَن دخلها، *قال القرطبي* -رحمه الله- *في "تفسيره" (١٨٤/٢٠):*

"فالنار سُمِّيت بـ(الحطمة)؛ لأنها تكسر كل ما يُلقى فيها وتحطمه وتهشمه"

٦- الهاوية: قال تعالى: {فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ{٩} وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ{١٠} نَارٌ حَامِيَةٌ}[القارعة:٩-١١]

وسُمِّيت النار بـ(الهاوية) لبعد قعرها، فمَن سقط يهوي فيها، ومعنى {فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ}: أي مستقره الهاوية

٧- سِجِّين: قال تعالى: { كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ{٧} وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ} [المطففين:٧-٨]

٨- لَظَى: قال تعالى: {كَلَّا إِنَّهَا لَظَى{١٥} نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى} [المعارج: ١٥-١٦]

واللظي: اللهب الخالص، قال تعالى: {فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى{١٤} لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى}[الليل:١٤-١٥]

وقوله: {نَاراً تَلَظَّى} أي تتوهج وتتوقد" (لسان العرب: ٢٤٨/١٥)

٢) *ضخامة النار وسعتها:*

- أولاً: ضخامة النار:

مما يدل على ضخامة النار وكبر حجمها:

ما رواه الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ *عن النبي* – صلى الله عليه وسلم– *قال:*

"يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام[1] مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها"

يعني أن عدد الملائكة التي تجر جهنم٤٩٠٠٠٠٠٠٠٠ (أربعة مليار وتسعمائة مليون ملكٍ) وهذا العدد الهائل من الملائكة مع قوتهم وشدتهم وعظمتهم يعطيك إشارة إلى عظم حجمها.

وأُحدِّثك عن ملك من ملائكة الله، لتقف على قوة وعظمة وشدة الملائكة

فقد أخرج أبو داود من حديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– *أن رسول الله* –رحمه الله– *قال:*

"أُذِن لي أن أُحدِّث عن ملك من ملائكة الله، من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام"

– *زاد ابن أبي حاتم في روايته:* "تخفق الطير"

– *يقول الشيخ ابن عثيمين* –رحمه الله – *في الشرح الحديث السابق:*

"وهذا يدل على عظمة هذه النار، نسأل الله أن يعيذنا والمسلمين منها ومن هول ذلك اليوم، لأن الله تعالى جعل سبعين ألف ملكٍ مع كل زمام من سبعين ألف زمام يجرون بها جهنم – والعياذ بالله

فهذا العدد الكبير من الملائكة يدل على أن الأمر عظيم والخطر جسيم" (شرح رياض الصالحين: ٣٧/٣)

---

(١) والزمام لغة: هو ما يجعل في أنف البعير يشد عليه المقود، فيحتمل أن يكون على حقيقة، وأن تكون تمثيلا لعظمها وفرط كبرها، بحيث إنها تحتاج في الإتيان بها إلى هذه الأزمة. اهـ (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: ١٢٧/٤)، قلت: "ولابد من حمل اللفظ على ظاهره، ولا داعي للتأويل".

- أما عن سعتها:

فإنه يدلك عليه أمور منها:-

١- ما أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح عن مجاهد قال: قال ابن عباس –رضي الله عنه-:

"أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا، قال: أجل، والله ما تدري، إن بين شحمة أُذُن أحدهم وبين عاتقه، مسيرة سبعين خريفاً، تجري فيها أودية القيح والدم، قلت: أنهاراً؟ قال: لا. بل أودية، ثم قال: أتدرون ما سعة جهنم؟ قلت: لا، قال: أجل، والله ما تدري، حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله –رحمه الله– عن قوله: **{وَالْأَرض جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}**[الزمر:٦٧]، فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: هم على جسر جهنم"

فالذين يدخلون النار أعداد لا تحصى ولا تعد، مع هذا تجد في هؤلاء مَن يكون ضرسه كجبل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث، وما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع، وما بين أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً، تجري فيه أودية القيح والدم- كما مر بنا في الحديث السابق – ومع ضخامة هذه الأجساد وكثرة هذه الأعداد فإن جهنم تستوعبهم جميعاً ويبقي فيها متسع لغيرهم، كما أخبر بذلك رب العالمين فقال في كتابه الكريم:

{يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ} [ق:٣٠]

٢- ومما يدل كذلك على سعتها: أن الشمس والقمر مع عظم خلقهما وضخامة حجمها، فإنهما يكونا في النار، وتسعهما جهنم

فقد أخرج الطحاوي في "مشكل الآثار" بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – *قال:*

"الشمس والقمر ثَوْرَان مُكَوَّران في النار يوم القيامة" (السلسلة الصحيحة:١٢٤)

– *وأخرجه البخاري في "صحيحه" مختصراً بلفظ:* "الشمس والقمر مُكَوَّران يوم القيامة"

ومعنى الحديث كما قال الألباني –رحمه الله – *كما في "السلسلة الصحيحة" (١/٢٤٤-٢٤٥):*

"وليس المراد من الحديث أن الشمس والقمر في النار يعذبان فيها عقوبة لهما، كلا، فإن الله ﷻ لا يعذب مَن أطاعه من خلقه، ومن ذلك الشمس والقمر، كما يشير إليه قول الله تعالى:

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرض وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ } [الحج:١٨]

فأخبر تعالى أن عذابه إنما يحق على غير مَن كان يسجد له تعالى في الدنيا، كما قال الطحاوي، وعليه فإلقاؤهما في النار يحتمل أمرين:-

الأول: أنهما من وقود النار

قال الإسماعيلي –رحمه الله -: "لا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما، فإن لله في النار ملائكة وحجارة وغيرهما، لتكون لأهل النار عذاباً، وآلة من آلات العذاب، وما شاء الله من ذلك، فلا تكون هي معذبة.

والثاني: أنهما يلقيان فيها تَبْكِيتاً لعُبَّادهما

قال الخطابي –رحمه الله –: "ليس المراد بكونهما في النار تعذيبهما بذلك، ولكنه تبكيت لِمَن كان يعبدهما في الدنيا؛ ليعلموا أن عبادتهم لهما كانت باطلاً"

ثم قال الألباني –رحمه الله –: "هذا هو الأقرب إلى لفظ الحديث، *ويؤيده أن في حديث أنس عند أبي يعلى- كما في "الفتح" (٦/٢١٤):* "ليراهما مَن عبدهما"و لم أرها في "مسنده" والله تعالى أعلم".اهـ

تنبيه:

علينا أن نسلم بما قاله النبي –صلى الله عليه وسلم- سواء ظهر لنا الحكمة من هذا أم لا يظهر، وهذا من التأدُّب مع النبي – صلى الله عليه وسلم –، *فقد جاء في الحديث السابق:*"الشمس والقمر ثَوْرَان مُكَوَّران في النار يوم القيامة" *الذي أخرجه الطحاوي:* "أن أبا سلمة جلس في مسجد، فجاء الحسن فجلس إليه فتحدثا، فقال أبو سلمة: حدثنا أبو هريرة عن النبي –رحمه الله-...*(فذكر الحديث):* فقال الحسن: وما ذنبهما؟! فقال: إنما أحدثك عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فسكت الحسن"

٣) عمق جهنم وبُعْد قعرِها:

فقعر جهنم بعيد وعميق، ويدل على بُعْد قعرها:-

ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: "كنا مع رسول الله -رحمه الله-، إذ سمع وَجْبَةً[١]، فقال رسول الله -رحمه الله-: "تَدْرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حَجَرٌ رمي به في النار منذ سبعين خريفاً[٢]، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قَعْرِها"

- *وفي "مسند الإمام أحمد" و"سنن الترمذي" عن عتبة بن غزوان ﷺ عن النبي* - صلى الله عليه وسلم - *قال في حديث له:* "... إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير[٣] جهنم، فتهوي فيها سبعين عاماً ما تفضي إلى قرارها"
(صحيح الجامع: ١٦٦٢)

- وعند ابن حبان من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله -رحمه الله-:
"لو أن حجراً يقذف به في جهنم؛ هوى سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قَعْرَها "

- وأخرج الترمذي والطبراني عن معاذ وأبي امامة **-رضي الله عنه-** عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
"لو أن حجراً مِثلَ سَبعِ خَلِفات[٤]، أُلقي من شفير جهنم؛ هَوَى فيها سبعين خريفاً لا يَبْلغُ قَعْرَها" (صحيح الجامع:٥٢٤٨)

- *وكان عمر ﷺ يقول:*"أكثِرُوا ذكر النار، فإن حرَّها شديد، وإن قَعْرَها بعيد، وإن مقامعها حديد"

- ومما يدل أيضاً على عمق قعرها:

ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله -رحمه الله- *قال:*
"إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها؛ يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب"

- *وأخرج الترمذي وابن ماجه أن النبي* - صلى الله عليه وسلم - *قال:* "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً؛ يهوي بها في النار سبعين خريفاً" (صحيح الجامع:١٦١٨)

فلك أخي الحبيب أن تتخيل عندما يُلقَى بالرجل في جهنم ويظل يهوي فيها وهو يعاني من حرِّها، ويقاسي من لهيبها، وهو يتساءل مع نفسه في كل لحظة، متى يكون الاصطدام والوصول إلى القرار؟ ويأتيه الجواب بعد سبعين عاماً حين يصطدم بقعرها، وهنا يستقر في دركها ويعاني من عذابها.

(١) وجبة: هو صوت سقوط الشيء من مكان عالٍ.

(٢) الخريف: الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء، ويطلق على العام كله.

(٣) الشفير: الحرف والجانب والناحية.

(٤) الخلفات: جمع "خلفة" وهي الناقة الحامل.

٤) *أبــواب الــنــــار:*

قال تعالى: **{قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ}** [الزمر:٧٢]

- وقد أخبر رب العالمين في كتابه الكريم أن هذه الأبواب سبعة، قال تعالى: **{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ{٤٣} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ}** [الحجر:٤٢-٤٤]

- وأخبر بهذا أيضاً الحبيب النبي - صلى الله عليه وسلم -

فقد أخرج الإمـــــام أحمد وابن سعد من حديـــث عتبة بن عبد السلـــمي ﷺ قـــــال: سمعت رسول الله -رحمه الله- *يقول:* "الجَنَّةُ لها ثمانية أبواب، والنار لها سبعة أبواب" (السلسلة الصحيحة: ١٨١٢)،(صحيح الجامع: ٣١١٩)

- وهذه الأبواب طبقات بعضها فوق بعض

يقول ابن كثير -رحمه الله - *في تفسير الآية السابقة:* "ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب: **{لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ}**[الحجر:٤٤]، أي قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه، أجارنا الله منها، وكل يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في درك بحسب عمله، ويستقر في درك بقدر عمله، *وعن حطان بن عبد الله أنه قال:* "سمعت علياً بن أبي طالب وهو يخطب، قال: "إن أبواب جهنم هكذا- *قال أبو هارون:*- "أطباقاً بعضها فوق بعض"، *وعن هبيرة بن أبي مريم عن عليٍّ* ﷺ *قال:* "أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى تمتلئ كلها". اهـــ (مختصر تفسير ابن كثير: ٣٩٣/٣)،(تفسير الطبري: ٩٣/١٦)

فعندما يلقى المجرم في نار جهنم يظل يهوي في دركاتها، وكل دركة أشد ظلمة وأقسى حراً من التي قبلها، فيظل يهوي وهو يعاني من حرِّها ويقاسي من لهيبها، ويظن أن الاصطدام بقعر جهنم قد اقترب؛ فإذا بباب آخر تحته يفتح لتبدأ مرحلة أخرى من الهبوط والسقوط، ويظل هكذا حتى يستقر في مكانه الذي كُتب له، وقُدِّر عليه، وكلما كثر عدد المتردين ازدادت النار اشتعالاً، فوقودها الناس والحجارة، فإذا كَمُل العدد الذي قدَّره الله، أغلق الباب عليهم، فلا مطمع حينئذ في الخروج منها.

- *ونقل ابن كثير عن ابن جريج أنه قال عن جهنم:* "لها سبعة أبواب: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، وروى الضحاك عن ابن عباس نحوه". اهـــ

(مختصر تفسير ابن كثير: ٣٩٣/٢)

قال بعضهم:

النار منزل أهل الكفر كلهموا طباقها سبعة مسودة الحفر
جهنم ولظى من بعـــدهـــا حطمة ثم السعير وكل الهول في سقر
وبعد ذاك جحيم ثم هـــاوية تهوي بهم أبداً في حـــر مستعر
فيها غلاظ شداد من مـــلائكة قلوبهم شدة أقسى من الحجر
لهم مقـــامع للتعذيب مرصدة وكل كسر لديهم غير متجبر
فيها العقارب والحيَّات قد جمعت جلودها كالبغال الدهم والحمر
سوداء موحشة شعســـاء مظلمة دهمـــاء محرقة لـــواحة للبشر

تنبيه: ما نقله ابن كثير عن ابن جريج في تسمية دركات جهنم، فليس عليه أي دليل تطمئن إليه النفس، والأصل أن نسكت عما سكت عنه الشرع، والصحيح أن هذه أسماء كلها لجهنم.

- إحكـــام الإغلاق على أهل النـــار

إذا دخل أهلُ النارِ النارَ؛ أُغلقت عليهم الأبواب، حتى لا يكون لهم مطمع في الخروج منها

قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ{١٩} عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ} [البلد:١٩-٢٠]

- *قال ابن عباس* —رضي الله عنه-: {مُّؤْصَدَةٌ} أي مغلقة الأبواب.

- *وقال مجاهد* —رحمه الله -: "أصد الباب بلغة قريش، أي أغلقه". (مختصر تفسير ابن كثير:٣/٦٨٦)

قال تعالى: {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ{٨} فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} [الهمزة: ٨-٩]

فأخبر الله تعالى أيضاً في هذه الآية أن أبواب جهنم مغلقة مؤصدة على أهلها

- *ونقل ابن كثير* —رحمه الله – *في تفسيره عن ابن عباس*-رضي الله عنه- *أنه قال:*

"{فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} يعني الأبواب هي الممددة، *وقال قتادة في قراءة ابن مسعود* رضي الله عنه:

"إنها عليهم مؤصدة، بعمد ممددة"

- *وذكر ابن رجب* —رحمه الله – *في كتابه "التخويف في النار" (ص٦١) عن عطية العوفي أنه قال:*

"هي عمد من حديد، *وقال مقاتل:* "اطبقت الأبواب عليهم، ثم شدت بأوتاد من حديد، حتى يرجع عليهم غمها وحرها".

وعلى هذا فقوله: {مُّمَدَّدَةٍ} صفة للعُمُد، يعني أن العُمدَ التي أوثقت بها الأبواب ممددة مطولة، والممدود الطويل ارسخ واثبت من القصير".اهـــ

- *وذهب بعض أهل التفسير إلى:* أن المقصود بـ(العمد الممددة): هي عمد من حديد ملتهبة، يوضع فيها أهل الكفر، فتحيط بهم من كل جانب.

وعلى كلا التفسيرين: فإن النار قد أحاطت بهم من كل جانب.

كما قال تعالى: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [التوبة:٤٩]

وقال تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} [الكهف:٢٩]

وعندما تحيط بهم النـــار، وتغلق الأبـــواب، ويتضاعف العذاب بسبب الإغلاق، يفـــزعـــون الفـــزع الأكبر، *يقول سفيان الثوري* –رحمه الله – *في قوله تعالى:* {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ}[الأنبياء:١٠٣]، أي "تطبق النار على أهلها" (حلية الأولياء: ٧/٧٨)

فيا له من عذاب! فالأبواب مغلقة والسقوف مطبقة، والنار لا تطفأ، والجسم لا يبلى، والنفس لا تموت. اللهم نجنا من النار بفضلك وكرمك يا عزيز يا غفار.

تنبيه:

قد تفتح أبواب النار وتغلق قبل يوم القيامة، كما هو الحال في شهر رمضان

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه *عن النبي* – صلى الله عليه وسلم – *قال:*

"إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجَنَّة، وغُلِّقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين ومردة الجن"

- *وفي رواية عند الترمذي:*

"إذا كان أول ليلة من شهر رمضان؛ صُفِّدت الشياطين ومردة الجن، وغُلِّقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفُتِّحت أبواب الجَنَّة، فلم يغلق منها باب" ("صحيح سنن الترمذي": ٥٤٩)

٥) خـــزنة الـــنـــار:

مرَّ بنا أن بجهنم سبعة أبواب، ولهذه الأبواب خزنة

قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا} [الزمر:٧١]

وقال تعالى: {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} [الملك: ٨]

وقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ} [غافر:٤٩]

- صفة خزنة جهنم:

هم ملائكة خلقهم عظيم، وبأسهم شديد، فهم غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم:٦]

وقد وصف الله ﷻ خزنة النار بأنهم "الزبانية"، وهم الذين يتولون تعذيب الكفار والعصاة في النار،

كما قال تعالى: {فَلْيَدْعُ نَادِيَه {١٧} سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} [العلق:١٧-١٨]

- *قال عطاء:* "الزبانية هم الملائكة الغلاظ الشداد". اهـــ

وقد وصفوا بالغلظة والشدة، فهم غلاظ القلوب، شداد الأبدان *وقيل:* "ضخام الأجسام"، والشداد: الأقوياء، وليس في قلوبهم رحمة، إنما خلقوا للعذاب.

- عدد خزنة جهنم:

وعدد هؤلاء الخزنة لا يعلمهم إلا الله، قال تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ...} [المدثر:٣١]

أما قادة ورؤساء الخزنة فهم تسعة عشر، كما قال تعالى: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ{٢٦} وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ {٢٧} لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ{٢٨} لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ{٢٩} عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر:٢٦-٣٠]

- وقد فُتِن الكفار بهذا العدد، فقد ظنُّوا أنه يمكن التغلب على هذا العدد القليل، وغاب عنهم أن الواحد من هؤلاء يملك من القوة ما يواجه به البشر جميعاً، ولذلك عقَّب الحق على ما سبق بقوله:

{وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا} [المدثر:٣١]

- *قال ابن رجب* –رحمه الله – *في كتابه "التخويف من النار" (ص١٧٤):* "والمشهور بين السلف والخلف أن الفتنة إنما جاءت من حيث ذكر عدد الملائكة الذين اغتر الكفار بقلتهم، وظنوا أنهم يمكنهم مدافعتهم وممانعتهم، و لم يعلموا أن كل واحد من الملائكة لا يمكن للبشر كلهم مقاومته" اهـــ

- وكبير هؤلاء الخزنة جميعاً هو "مالك" خازن النار، وجاء ذكره في قوله تعالى:

{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ} [الزخرف:٧٧]

ولقد رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث الرؤيا الطويل، مالكاً خازن النار كريه المنظر كأكره ما أنت راءٍ رجلاً.

- *ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث سمرة بن جندب ﷺ عن النبي* – صلى الله عليه وسلم –:

"إن ملكين أتياه في المنام، *فذكر رؤيا طويلة وفيها:* "... قال: فانطلقت، فأتينا على رجل كرية المرآة[١]، كأكره ما أنت زاعم، فإذا هو عند نار يحشها[٢] ويسعى حولها، قال: قلت: ما هذا؟ قالا لي: انطلق انطلق..." *وفي آخر الحديث:* "... قالا: فأما الرجل الكربة المرأة عند النار يحشها ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم"

ومالك خازن النار لم يضحك قط ففي رحلة المعراج لما صعد النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى السموات العلا قال لجبريل عليه السلام:

"ما لي لم آت أهل سماء إلا رحبوا وضحكوا إليّ غير رجل واحد، فسلمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام ورحَّب بي و لم يضحك إلي؟ فقال جبريل: يا محمد ذاك مالك خازن جهنم، لم يضحك منذ خُلق، ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك"

موعظة:

قال ابن الجوزي –رحمه الله – في وصف النار:

"هي دار خُصَّ أهلها بالبعاد، وحرموا لذة المُنَى والإسعاد، بُدلت وضاءة وجوههم بالسواد، وضربوا بمقامع أقوى من الأطواد، عليها ملائكة غلاظ شداد.

لو رأيتهم في الحميم يسرحون، وعلي الزمهرير يطرحون، فحزنُهم دائم فلا يفرحون، مقامهم دائم فلا يبرحون أبد الآباد، عليها ملائكة غلاظ شداد.

توبيخهم أعظم من العذاب، تأسفهم أقوى من المصاب، يبكون على تضييع أوقات الشباب، وكلما جاد البكاء زاد، عليها ملائكة غلاظ شداد.

يا حسرتهم لغضب الخالق، يا محنتهم لعظم البوائق، يا فضيحتهم بين الخلائق، أين كسبهم للحطام؟ أين سعيهم في الآثام؟ أين تتبعهم لزلات الأنام؟ كأنه أضغاث أحلام، ثم أحرقت تلك الأجساد، وكلما أحرقت تعاد، عليها ملائكة غلاظ شداد.

---

(١) كرية المرآة: يعني كريه المنظر.

(٢) يحشها: أي يوقدها.

٦) *النـــار دركـــــات:*

النار متفاوتة في شدة حرها، وما أعده الله من العذاب لأهلها، فليست دركة واحدة، وقد قال الحق تبارك وتعالى:

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} [النساء:١٤٥]

والعرب تطلق: "الدرك" على كل ما تسافل، كما تطلق: "الدرج" على كل ما تعالى، فيقال: للجنة درجات وللنار دركات، وكلما ذهبت النار سفلاً كلما علا حرها واشتد لهيبها" (التذكرة للقرطبي: ص٣٨٢)

والمنافقون لهم النصيب الأوفر من العذاب، ولذلك كانوا في الدرك الأسفل من النار.

تنبيهات:

١- وقد تُسمَّى النار درجات أيضاً، ففي سورة الأنعام ذكر الله أهل الجنَّة والنار، ثم قال: {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ} [الأنعام:١٣٢]، وقال: {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ{١٦٢} هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ ...} [آل عمران:١٦٢-١٦٣]، *قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:* "درجات الجنَّة تذهب علواً، ودرجات النار تذهب سفلاً" ("التخويف من النار" لابن رجب: ص ٥٠)

٢- *ورد عن بعض السلف:* أن عصاة الموحدين ممَّن يدخلون النار يكونون في الدرك الأعلى، ويكون في الدرك الثاني اليهود، وفي الدرك الثالث النصارى، وفي الدرك الرابع الصائبون، وفي الخامس المجوس، وفي السادس مشركوا العرب، وفي السابع المنافقون. وهذا ليس عليه دليل"

٣- وقع في بعض الكتب تسمية هذه الدركات: فالأول جهنم، والثاني لظى، والثالث الحطمة، والرابع السعير، والخامس سقر، والسادس الجحيم، والسابع الهاوية، و لم يصح في ذلك خبر- كما مرَّ بنا-"

والصحيح أن كل واحد من هذه الأسماء التي ذكروها: جهنم، لظي، الحطمة...إلخ اسم علم للنار كلها، وليس لجزء من النار دون جزء، وصحَّ أن الناس متفاوتون على قد كفرهم وذنوبهم." (الجنَّة والنار لعمر سليمان الاشقر : –رحمه الله – ص ٢٥-٢٦)

٧) تفاوت عذاب أهل النار:

مرَّ بنا أن النار دركات بعضها أشد عذاباً من بعض، وهذا يشير إلى أن أهل النار متفاوتون في شدة العذاب بحسب تفاوت أعمالهم، كما قال رب العالمين في كتابه الكريم: {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ} [الأنعام:١٣٢]، وقال تعالى: {جَزَاء وِفَاقاً} [النبأ:٢٦]

قال ابن عباس -رضي الله عنه-: "وافق أعمالهم، فليس عقاب مَن تغلظ كفره، وأفسد في الأرض، ودعا إلى الكفر كمَن ليس كذلك" (التخويف من النار: ١٣٢/١)

وهناك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على تفاوت أهل النار في العذاب منها.

- أولاً: الأدلة القرآنية:

قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ }[غافر:٤٦]

وقال تعالى حاكياً عن أهل النار: {قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ} [ص:٦١]

وأيضاً قوله تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ} [الأعراف:٣٨]

وقال تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ} [النحل:٨٨]

وقال تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ} [البقرة:٨٥]

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} [النساء:١٤٥]

وقال تعالى في شأن مَن يكفر بالمائدة بعد نزولها: {فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ} [المائدة: ١١٥]

- وقال ابن رجب –رحمه الله – في كتابه "التخويف من النار" (٣٥/٢):

"واعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب هو بحسب تفاوت أعمالهم التي أدخلوا بها النار"

- أما الأدلة النبوية والتي تدل على تفاوت عذاب أهل النار

ففي "صحيح مسلم" من حديث سمرة بن جندب ﷺ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – *قال في أهل النار:*

"... منهم مَن تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حُجْزَتِهِ[1]، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته[2] " – *وفي رواية:* "إلى عنقه"

– *قال ابن رجب* –رحمه الله – *في كتابه "التخويف من النار" (ص١٤٢):*

"واعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب هو بحسب تفاوت أعمالهم التي أدخلوا بها النار، ثم قال: وتفاوت عذاب عصاة الموحدين في النار بحسب أعمالهم، فليست عقوبة أهل الكبائر لعقوبة أصحاب الصغائر، وقد يخفف عن بعضهم بحسنات أخرى له، أو بما شاء الله من الأسباب" اهـــ

– ومما يدل كذلك على أن أهل النار متفاوتون في العذاب

ما أخرجه البخاري عن النعمان بن بشير –رضي الله عنه– *قال: سمعت رسول الله* –رحمه الله– *يقول:*

"إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة، لرجلٌ تُوضَع في أخمص[3] قدميه جمرة يغلي منها دماغه"

– *وعند مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن الحبيب النبي* – صلى الله عليه وسلم – *قال:*

"إن أَدْنَى أهل النار عذاباً يَنْتَعِل نعلينِ من نارٍ يغلي دماغُهُ من حرارة نعليه"

– *وعند مسلم كذلك من حديث النعمان بن بشير* –رضي الله عنه– *عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:*

"إن أهون أهل النار عذاباً مَن له نعلان وشِرَاكان من نار، يغلي منهما دماغه، كما يغلي المِرْجَل[4]، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً"

– *وفي رواية أخرى:* "إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: رجلٌ على أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه، كما يغلي المِرْجَل والقُمْقُم[5] "

---

(١) الحجزة: معقد الإزار والسراويل.

(٢) الترقوة: العظم المشرف من النحر.

(٣) الأخمص: باطن القدم الذي يتجافى عن الأرض عند الوطء.

(٤) المِرْجَل: القِدر من النحاس أو الحجارة.

(٥) القُمْقُم: ما يسخن فيه من نحاس وغيره.

- وجاءت بعض الروايات تصرح بأن أهون أهل النار عذاباً هو أبو طالب

في "صحيح مسلم" من حديث ابن عباس –رضي الله عنه– *أن رسول الله* –رحمه الله– *قال:*

"أهونُ أهلِ النار عذاباً: أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منه دماغُهُ"

وقد يكون أبو طالب هو وحده المنفرد بهذا النوع من العذاب، كما صرح الحديث السابق، أو قد يكون هو مع غيره مشتركون في هذا النوع من العذاب، وأنهم أهون أهل النار. والله أعلم.

- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري* رضي الله عنه*:*

"أنه سمع رسول الله –رحمه الله– وذُكِر عنده عَمُّهُ أبو طالب، فقال"لعله ينْفعُهُ شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح [١] من النار يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغُهُ"

- *وفي "صحيح مسلم" من حديث العباس بن عبد المطلب أنه قال:*

"يا رسول الله، هل نَفَعْتَ أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك [٢] ويغضب لك؟ قال: نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك[٣] الأسفل من النار"

- *قال القرطبي* –رحمه الله – *في "التذكرة" (ص٤٠٩):*

"وهذا يدل على أن كُفْرَ مَن كَفَرَ فقط، ليس كَكُفْرِ مَن طغى وكفر وتمرَّد وعصي، ولا شك أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون، كما قد علم من الكتاب والسُّنَّة، ولأنَّا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب مَن قتل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم وأفسد في الأرض وكفر، مساوياً لعذاب مَن كَفَرَ فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين، ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى ضحضاح لنصرته إياه، وذبه عنه وإحسانه إليه. اهـ

---

(١) ضحضاح: هو ما رق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين، واستعير في النار.

(٢) يحوطك: قال أهل اللغة: "يقال: "حاطه: يحوطه: حوطاً وحياطة؛ إذا صانه وحفظه وذبَّ عنه، وتوفر على مصالحه.

(٣) الدرك: *قال أهل اللغة والمعاني والغريب وجماهير المفسرين:* الدرك الأسفل: قعر جهنم، وأقصى أسفلها، *قالوا:* ولجهنم أدراك، فكل طبقة من أطباقها تسمى "دركاً". (انظر شرح النووي على مسلم).

- ومما يدل كذلك على تفاوت أهل النار في العذاب

ما أخرجه الإمام أحمد والبيهقي من حديث خالد بن الوليد ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"أشدُّ الناس عذاباً للناس في الدنيا، أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة"(صحيح الجامع:٩٩٨)

- وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"أشدُّ الناس يوم القيامة عذاباً، إمام جائر" (صحيح الجامع: ١٠٠١)

- *وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عمر* -رضي الله عنه- *قال: قال رسول الله* -رحمه الله-*:*

"أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة: المصورون، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم"

وغير ذلك من الأحاديث التي تدل على أن هناك مَن يشتد عليه العذاب دون غيره.

- حوار رب العالمين مع أهون أهل النار عذاباً:

أخرج البخاري من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله -رحمه الله-*:*

"إن الله يقولُ لأهونَ أهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: قد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك"

- *وفي رواية أخرى عند البخاري أيضاً وفيها:*

"يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟، فيقول نعم: فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي"

٨) لون النار ، ولون أهلها:

فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال:

"أُوقد على النار ألف سنةٍ حتى احمرَّت، ثم أوقد عليها ألفَ سنةٍ حتى ابيضَّت، ثم أوقد عليها ألف سنةٍ حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة، كالليل المظلم"[١]

- وأخرج الإمام مالك في "الموطأ" عن أبي هريرة ﷺ أيضاً موقوفًا عليه أنه قال:

أترونها حمراء كنارِكم هذه؟ لهي أسود من القار"

- وروى البيهقي هذا الحديث مرفوعاً إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وفيه:

"تحسبون أن نار جهنم مثل نارِكم؟ هي أشد سواداً من القار، هي جزء من بضعة وستين جزءاً منها"

(صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ٣٦٦٦)

- ونقل ابن كثير -رحمه الله - في تفسير سورة الحج عند قوله تعالى: **{قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ}** [الحج:١٩] عن سلمان أنه قال: النار سوداء مظلمة، لا يضيء جمرها، ولا يطفأ لهبها، وقال ابن عباس-رضي الله عنه- : "إن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب" (يقظة أولي الاعتبار: ص١٢٨)

وفي قوله تعالى: **{وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ}** [الواقعة:٤٣] وهذا الظل من دخان جهنم، وهو أسود شديد السواد

واليحموم في اللغة: الشديد السواد

أما عن لون أهلها، فإنهم كذلك سود الوجوه

قال تعالى: **{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ}** [آل عمران:١٠٦]

وقال تعالى: **{كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** [يونس:٢٧]

- وكان الضحاك -رحمه الله - يقول: "النار سوداء، وأهلها سود، وكل ما فيها أسود"

- وجاء في "حلية الأولياء" (١٠٥/٨): "أن الفضيل بن عياض دخل على أمير المؤمنين هارون الرشيد فقال له: "يا حسن الوجه!! لقد وليت أمراً عظيماً، إني ما رأيت أحداً هو أحسن وجهاً منك، فإن قدرت أن لا تُسَوِّد هذا الوجه بلفحة من النار فافعل"

(١) هذا الحديث رواه الترمذي وابن ماجه مرفوعاً، وهو لا يصح مرفوعاً، فقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع: (٢١٢٥)، ولكن الحديث يصح موقوفاً على أبي هريرة ﷺ كما قال "مجدي السيد" محقق كتاب "التذكرة" للقرطبي، لكن هذا الحديث وإن كان موقوفاً فهو من الأمور الغيبية التي لا تقال بالرأي.

٩) *وقـــود الـــنـــــــار:*

جاءت الآيات توضح أن وقود النار هي الأحجار والفجرة الكفار، فقال العزيز الغفار:

{فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة:٢٤]

وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}** [التحريم:٦]

والمراد بالناس الذين توقد بهم النار هم الكفرة الفجار

كما جاء ذلك صريحا في قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئاً وَأُولَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ}** [آل عمران:١٠]

والمراد بالحجارة في الآية: هي حجارة الكبريت، وإلى هذا ذهب بعض من السلف الكرام منهم: ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وابن جريج ﭫ

- *فقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم عن عبد الله بن مسعود ﭬ:* "هي حجارة من كبريت، خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين"

(انظر مختصر تفسير ابن كثير: ١/٧٠)

وقيل: "إن المراد بالحجارة هي حجارة الأصنام والأنداد التي كانت تعبد من دون الله، كما قال تعالى: **{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ...}** [الأنبياء:٩٨]، وهذا ما ذهب إليه القرطبي والرازي، ولكن القول الأول أقوى، وذلك أن النار إذا أضرمت بحجارة الكبريت؛ كان ذلك أشد لحرها، وأقوى لسعيرها، ولاسيما على ما ذكره السلف من أنها حجارة من كبريت معدة لذلك. اهـــ باختصار (مختصر تفسير ابن كثير:١/٧٠-٧١)

- *ويقول ابن رجب* –رحمه الله – *كما في "التخويف من النار" (ص١٠٧):*

"وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة حجارة الكبريت توقد بها النار، ويقال: إن حجارة الكبريت فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها: سرعة الإيقاد، ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا أحميت". اهـــ

وهذا الوقود من الناس والحجارة يرمى به في النار رمياً، كما قال تعالى:

{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ...} [الأنبياء:٩٨]

قيل: "إن الحَصْب: هو الوقود والحطب، *قال الجوهري:* "كل ما أوقدت به النار أو هيجتها فقد حصبتها، *وقيل:* "إن الحصب هو الرمي، قال أبو عبيدة: "كل ما قذفته في النار فقد حصبتها به".

(يقظة أولي الاعتبار: ص٦١)

ولعل القول الثاني أقوى، حيث *قال الضحاك في الآية السابقة:* "يعني يرمون بهم في النار كما يرمي بالحصباء، وأصل الحصب: الرمي، قال الله ﻷ: **{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً}** [القمر:٣٤]

أي ريحاً ترميهم بحجارة" (تفسير البغوي: ص٣٥٦)

- طريقة الإلقاء في جهنم:

قال تعالى: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ} [الرحمن:٤١]
وقال تعالى: {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ} [الدخان:٤٧]
وقال تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ{٣٠} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ{٣١} ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة:٣٠-٣٢]
وقال تعالى: {كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ} [العلق:١٥]

تنبيه:

في قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ {٩٨} لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ {٩٩}لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ{١٠٠}إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء:٩٨-١٠١]

المقصود هو دخول آلهة المشركين النار أي الأصنام، أو مَن عبد، وهو راضٍ بعبادته، وأما المسيح وعزير، والملائكة... ونحوهم، ممَّن عُبد من الأولياء، فإنهم لا يعذبون فيها، ويدخلون في قوله:
{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء:١٠١]

- أول مَن ستوقد وتسعر به النار:

أخبر الحبيب النبي –صلى الله عليه وسلم– عن ثلاثة أصناف: وهم أول مَن ستسعر بهم النار

فضي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله –رحمه الله–:

"إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه؛ رجلٌ اُستُشْهد، فأتي به، فعرَّفه نعمه؛ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى اُستُشهدتُ، قال: كذبت، ولكنك قاتلتَ ليقال: جرئ، فقد قيل، ثُمَّ أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ تعلَّم العلمَ وعلَّمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرَّفه نعَمَهُ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلم وعلَّمتُه، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلَّمتَ العلمَ ليقال: عالمٌ، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ؛ فقد قيل، ثُمَّ أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل يُحَبُّ أن ينفق فيها؛ إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جوادٌ؛ فقد قيل، ثُمَّ أُمر به، فسُحِب على وجهه ثُمَّ أُلقي في النار".

– *زاد الترمذي في روايته أن أبا هريرة رضي الله عنه قال:* "ثم ضرب رسول الله –رحمه الله– على ركبتي، فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسعَّر بهم النار يوم القيامة"

١٠) شدة حر جهنم:

من شدة حرارتها أنها لا تُبقي ولا تذر، تحرق الجلود، وتصل إلى العظام، وتطلع على الافئدة، وتصهر ما في البطون، فهي تأكل كل شيء، وتدمر كل شيء، يكفي أن الله تعالى وصفها بأنها حامية.

قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ{٨} فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ{٩} وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ{١٠} نَارٌ حَامِيَةٌ} [القارعة:٨-١١]

وهذه النار الحامية مؤصدة على أهلها، كما قال تعالى: {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ}أي مغلقة، وهذا يزيد من حرارتها وشدة لهيبها

– وقال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ{٢} عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ{٣} تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً} [الغاشية:٢-٤]

– وقال تعالى: {فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى{١٤} لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى} [الليل:١٤-١٥]

– وقال تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ{١} مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ{٢} سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ} [المسد:١-٣]

– بل الشرارة المتطايرة من النار تكون كالقصر الكبير أو كالحصن العظيم، فيكف بالنار؟

قال تعالى: {إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ} [المرسلات:٣٢]

– *يقول عبد الله بن مسعود ﷺ في هذه الآية:* "لست أقول كالشجرة ولكن كالحصون والمدائن".

وبيَّن النبي –صلى الله عليه وسلم– شدة وعظم حرها.

فقد أخرج ابن حبان عن أبي هريرة ﷺ أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:

"ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، ضربت بماء البحر، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد"

– *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله* –رحمه الله–:

"ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافيه، قال: إنها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها"

فانظر إلى شدة ووهج وحرارة مصنع الحديد والصلب، وهذه نار تصهر الحديد والصخور، ومع هذا فهي جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة.

– *من أجل ذلك يقول عبد الله بن عمير:* "لو أن أهل النار كانوا في نار الدنيا؛ لقالوا فيها[١]"

– *وكان الغزالي* –رحمه الله – *يقول في كتابه "الإحياء" (٥٣١/٤):*

"نار الدنيا لا تناسب نار جهنم، ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا هو العذاب بالنار، عُرف بهذا عذاب جهنم بها وهيهات، فلو وجد أهل الجحيم مثل نار الدنيا لخاضوها طائعين هرباً ممَّا هم فيه" اهـــ بتصرف

---

(١) لقالوا فيها: من القيلولة، يعني ناموا فيها؛ لأن نار الدنيا بالنسبة لأهل النار لا شيء بالنسبة لنار الآخرة.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنَّة، ونعوذ بك من سخطك والنار

- *يقول ابن رجب –رحمه الله – في كتابه "التخويف من النار" (ص٨٥): عند قوله تعالى:*
{وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ{٤١} فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ{٤٢} وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ{٤٣} لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} [الواقعة:٤١-٤٤]

وقد تضمنت هذه الآيات ذكر ما يتبرد به الناس من الكرب والحر، وهو ثلاثة: الماء والهواء والظل، وذكرت الآيات أن هذه لا تغني عن أهل النار شيئاً، فهواء جهنم: السموم، وهو الريح الحارة الشديدة الحر، وماؤها: الحميم الذي قد اشتد حره، وظلها: اليحموم وهو قطع الدخان السوداء.

وقد قال تعالى لأهل النار: **{انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ{٣٠} لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ}** [المرسلات:٣٠-٣١]

فهذا الظل ليس ببارد المدخل، ولا بكريم المنظر، إنه ظل من يحموم" اهـــ بتصرف

- فهذه هي النار فماذا عن المعذبين بها؟

قال تعالى: **{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ{٢٦} وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ{٢٧} لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ{٢٨} لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ}** [المدثر:٢٦-٢٩]

يقول بعض السلف في قوله تعالى: **{لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ}***قال:* "تأكل العظم واللحم والمخ ولا تذره على ذلك"

(التخويف من النار: ص١٤٦)

فالنار تأكل كل شيء، وتدمر كل شيء، لا تبقي ولاتذر، تحرق الجلود، وتصل إلى العظام، وتصهر ما في البطون، وتطلع على الأفئدة، كما قال تعالى: **{كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ{٤} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ{٥} نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ{٦} الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ}** [الهمزة:٤-٧]

- *قال محمد بن كعب القرطبي* –رحمه الله –: "تأكله النار إلى فؤاده، فإذا بلغت فؤاده أنشيء خلقه".

- *وعن ثابت البناني أنه قرأ هذه الآية، ثم قال:* "تحرقهم النار إلى الأفئدة وهم أحياء، لقد بلغ منهم العذاب، ثم يبكي ثابت البناني –رحمه الله – ". (التخويف من النار لابن رجب: ص٨٤٦)

واقرأ أخي الحبيب بعيني قلبك هذا الحديث لتعلم مدى شدة النار، وحال أهلها

- *أخرج البزار وأبو يعلى عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله* –رحمه الله–:

"لو كان في هذا المسجد مائة الف أو يزيدون، وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نَفَسُه، لاحترق المسجد ومَن فيه"

ولا عجب في هذا، فهذا النَّفَس قد انبعث من جوف انسان ثيابه النار، وشرابه النار وطعامه النار، وفراشة النار، وقد قال تعالى في وصف حال أهل النار: {يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ{١٩} يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ} [الحج:١٩-٢٠]

أخي الحبيب لشدة حر جهنم، فإن غمسة واحدة فيها تُنسي كل نعيم

- فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله -رحمه الله-:

"يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يارب..." الحديث

قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ{٢٠٥} ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ{٢٠٦} مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ} [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧]

ولله در القائل:

تفنى اللذاذة ممَّن نـــــال لذتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعــــــار

تبقى عواقب سوء من مغبتها ... لا خير في لذةٍ من بعدها النار

لقد خاب والله مَن آثر شهوة من حرام كان عاقبتها تجرع من حميم آن

لقد خسر والله مَن أطلق نفسه فيما تريد بعد أن سمع عن الزبانية وأغلال الحديد

لقد هلك وبار كل البوار مَن اشتري لذة ساعة بعذاب النار.

وهذه النار لا تُطْفَأ في يوم من الأيام ولا يخبو لهيبها، مع مرور الزمان، فهي تُحْمَى وتسعر كل يوم

- فقد أخرج الإمام مسلم عن عمرو بن عبسة السُّلميّ ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"صلِّ صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة، حتى تطلع الشمس، حتى ترتفع، فإنها تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإنه حينئذ تُسجَّر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصلِّ"

- وتسعر النار كذلك يوم القيامة عندما تستقبل أهلها، قال تعالى: {وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ}[التكوير:١٢]، يعني أوقدت وأحميت

والعلة من هذا الإحماء والتسعير، حتى لا يخفف عن أهلها العذاب، كما قال رب العالمين في كتابه الكريم: {فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} [البقرة:٨٦]

إشكال والرد عليه:

في قوله تعالى عن النار: {كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً} [الإسراء:٩٧] قد يوهم أن لهيب النار يخبو، فيخفف العذاب عن أهلها، وهذا قد يتعارض مع الآية السابقة، ومع قوله تعالى:

{وَإِذَا رَأى الَّذِينَ ظَلَمُواْ الْعَذَابَ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} [النحل:٨٥]

والجواب عن هذا: أنه قد مرَّ بنا أن الكفرة هم وقود النار، فإذا أحرقتهم النار زال اللهب الذي كان متصاعداً من أجسامهم، فلا يلبثون أن يعودوا كما كانوا فيعود الالتهاب لهم، فالخبو وازدياد الاشتعال بالنسبة إلى أجسادهم لا في أصل نار جهنم، ولهذه النكتة سُلِّط فعل{زِدْنَاهُمْ} علي ضمير المشركين للدلالة على أن ازدياد السعير كان فيهم، *فكأنه قيل:* "كلما خبت فيهم زدناهم سعيراً"، و لم يقل: زدناها سعيراً. اهـــ بتصرف ("التحرير والتنوير")

- محـــــــاولات الفِـــــرار

بعد أن يستقر أهل النار في النار، ويقاسون من حرها، وتلفحهم النار بلهيبها، ويسؤوهم المستقر والمقام، وهنا يحاولون الفرار، ولكن كيف المفر؟

يرى أحدهم من بعيد جبلاً من نار، فيذهب لهذا الجبل ويصعد عليه ليحاول الخروج والنجاة، ويظل يكابد ويعاني، كما قال تعالى: {سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً}[المدثر:١٧]، وهذا نوع من أنواع العذاب، كما قال تعالى: {وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً} [الجن:١٧]، ويبدأ في صعود هذا الجبل مع ما فيه من العذاب، وبعد طول مكابدة وإرهاق، وبعد أن كاد أن يصل إلى القمة ظنًّا منه النجاة وإذ بملائكة غلاظ شداد يضربونه بمقامع من حديد على رأسه فيهوي في قعرها، ويقاسي من حرِّها، قال تعالى:

{وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ{٢١} كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج:٢١-٢٢]

وبعد السقوط فيها، لا ييأس من محاولة الهرب، فيعد الكرَّة، ويبدأ في الصعود، وما أن يصل أو كاد أن يصل إلى أعلي الجبل وإذ بالملائكة تضربه مرة أخرى وتعيده فيها؛ ليذوق من لهيبها ويعاني من حرها، قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ} [السجدة:٢٠]

اللهم إنا نستجير بك من النار...

١١) امتلاء جهنم:

قال تعالى: **{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}** [هود:١١٩]

وقال تعالى: **{وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}** [السجدة:١٣]

- *وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله* -رحمه الله-:

"احتجت الجَنَّةُ والنار، فقالت الجَنَّةُ: يدخلني الضعفاء والمساكين، وقالت النار: يدخلني الجَبَّارون والمُتكبِّرون، فقال الله للنار: أنتِ عذابي، انتقم بك ممَّن شئت، وقال للجنة: أنتِ رحمتي، أرحمُ بكِ مَن شئت، ولكل واحدة منكما ملؤُها" (صحيح الجامع: ١٨٥)

ويقال لها مع كثرة الأعداد وضخامة الأجساد التي تلقى فيها من الجَنِّ والإنس، هل امتلأت؟ إلا أنها لعظمة سعتها، وعمق قعرها نقول: هل من مزيد، كما قال العزيز الحميد:

{يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ} [ق:٣٠]

فلا تمتلئ مهما وضع فيها، حتى يضع رب العزة عليها قدمه، فتقول: قط قط قد امتلأت

- *فقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:*

"لا تزال جهنم يُلقى فيها، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه، فيتروي بعضها إلى بعض، وتقول: قَطْ قَطْ[١]، بعزتك وكرمك"

- *وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:*

"تحاجَّت النار والجَنَّة، فقالت النار: أُوثرتُ بالمتكبِّرين، والمتجبِّرين، وقالت الجَنَّة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطُهم وعجَّزُهم؟ فقال الله ﷻ للجنة: إنما أنتِ رحمتي، أرحمُ بكِ مَن أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنتِ عذابي أعذِّبُ بكِ مَن أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار، فلا تمتلئُ حتى يضع الله قدمه عليها فتقول: قَطِ قَطِ، فهنالك تمتلئ، ويتروي بعضها إلى بعض، فلا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجَنَّة فإن الله ينشيء لها خلقاً" (صحيح الجامع: ٢٩١٩)

السر في كثرة أهل النار [٢] :

ليس السبب في كثرة أهل النار هو عدم بلوغ الحق إلى البشر على اختلاف أزمانهم وأمكنتهم، فإن الله لا يؤاخذ العباد إذا لم تبلغهم دعوته، **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}** [الإسراء:١٥]، ولذلك فإن الله أرسل في كل أمة نذيراً، **{وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ}** [فاطر:٢٤]

ولكن السبب وراء ذلك يعود إلى قلة الذين استجابوا للرسل وكثرة الذين كفروا بهم، كما قال تعالى:

---

(١) قط قط: يعني حسبي حسبي، اكتفيتُ وامتلأتُ.

(٢)الجَنَّة والنار لعمر سليمان الأشقر: ص٧٥-٧٧. بتصرف

{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يوسف:١٠٣]

- *وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث ابن عباس* –رضي الله عنه- *عن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال:* "عُرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد..." الحديث، وكثير من الذين استجابوا لم يكن إيمانهم خالصاً نقياً.

- *وقد تعرض ابن رجب في كتابه "التخويف من النار" إلى السبب في قلة أهل الجَنَّة، وكثرة أهل النار فقال* –رحمه الله –: "فهذه الأحاديث وما في معناها تدل على أن أكثر بني آدم من أهل النار، وتدل أيضاً على أن أتباع الرسل قليل بالنسبة إلى غيرهم، وغير أتباع الرسل كلهم في النار إلا مَن لم تبلغه الدعوة أو لم يتمكن من فهمها على ما جاء فيه من الاختلاف، والمنتسبون إلى أتباع الرسل كثير: منهم مَن تمسك بدين منسوخ، وكتاب مبدل، وهم أيضاً من أهل النار، كما قال تعالى:

{وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} [هود:١٧]

وأما المنتسبون إلى الكتاب المحكم والشريعة المؤيدة والدين الحق، فكثير منهم من أهل النار أيضاً، وهم المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار، وأما المنتسبون إليه ظاهراً وباطناً فكثير منهم فتن بالشبهات، وهم أهل البدع والضلال، وقد وردت الأحاديث على أن هذه الأُمَّة ستفترق على بضع وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة، وكثير منها أيضاً فتن بالشهوات المحرَّمة المتوعد عليها بالنار- وإن لم يقتض ذلك الخلود فيها- فلم ينجُ من الوعيد بالنار، و لم يستحق الوعد المطلق بالجَنَّة من هذه الأُمَّة إلا فرقة واحدة، وهو ما كان عليه النبي –صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ظاهراً وباطناً، وسلم من فتنة الشهوات والشبهات، وهؤلاء قليل جداً لاسيما في الأزمان المتأخرة"

(التخويف من النار لابن رجب: ص٢١٤)

ولعل السبب الأعظم هو اتباع الشهوات، ذلك أن حب الشهوات مغروس في أعماق النفس الإنسانية
{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[آل عمران:١٤]

وكثير من الناس يريد الوصول إلى هذه الشهوات عن الطريق التي تهواها نفسه ويحبها قلبه، ولا يراعي في ذلك شرع الله المُنزل، أضف إلى هذا تمسك الأبناء بميراث الآباء المناقض لشرع الله
{مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ{٢٣} قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ} [الزخرف:٢٣-٢٤]

وإلف ما كان عليه الآباء وتقديسه داء ابتليت به الأمم، لا يقل أثره عن الشهوات المغروسة في أعماق الإنسان، إن لم يكن هو شهوة في ذاته.

- *وقد روى الترمذي وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله* -رحمه الله- *قال:*
"لما خلق الله النار، قال لجبريل: اذهب فانظر إليها، وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها ثم جاء، فقال: وعزَّتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فحفها بالشهوات [1]، فقال: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فلما رجع، قال: وعزَّتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها" (أخرجه الترمذي وأبو داود)

- *وفي "صحيحي البخاري ومسلم" عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله* -رحمه الله-:
"حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنَّة بالمكاره"

- *وفي "صحيح مسلم" من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله* -رحمه الله-:
"حُفَّت الجنَّة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات"
- *وقال الإمام النووي* -رحمه الله- *في شرح الحديث السابق: "قال العلماء:*
"هذا من بديع الكلام وفصيحه، وجوامعه التي أوتيها -رحمه الله- من التمثيل الحسن، ومعناه: لا يوصل إلى الجنَّة إلا بارتكاب المكاره، والنار إلا بالشهوات، وكذلك محجوبتان بهما، فمَن هتك الحجاب وصل إلى المحبوب، فهتك حجاب الجنَّة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات".

(١) *قال صديق حسن خان في "يقظة أولي الاعتبار" (ص٢٢٠):*"والمراد بالشهوات مرادات النفوس ومستلذاتها وأهويتها"، *وقال القرطبي:* "الشهوات كل ما يوافق النفس ويلائمها، وتدعو إليه، ويوافقها، وأصل الحفاف الدائر بالشيء المحيط به، الذي لا يتوصل إليه إلا بعد أن يتخطى".

- النساء أكثر أهل النار:

أكثر مَن يدخل النار من عصاة الموحدين النساء

كما في "الصحيحين" عن ابن عباس –رضي الله عنه– *عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال في خطبة الكسوف:*

"أُرِيت النار، فلم أرَ منظراً كاليوم أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء"

– *وعند مسلم بلفظ:* "اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء" (صحيح الجامع:١٠٣٠)

– *وفي "الصحيحين" من حديث أسامة بن زيد* –رضي الله عنه–:

"وقمت على باب النار فإذا عامة مَن دخلها النساء"

– *وأخرج ابن حبان في "صحيحه" عن أسامة بن زيد* –رضي الله عنه– *قال: قال رسول الله* –رحمه الله–:

"نظرتُ إلى الجنَّة، فإذا أكثر أهلها المساكين، ونظرت في النار، فإذا أكثر أهلها النساء..." الحديث

- السبب في كون النساء أكثر أهل النار

ذكر الحبيب النبي –صلى الله عليه وسلم– جملة من الأسباب التي من أجلها تدخل النساء النار ومنها:–

١– كثرة اللعن، وتكفير العشير:

ففي "الصحيحين" من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال:

"يا معشر النساء، تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقلن: ولِمَ ذلك يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير..." الحديث

– *وأخرج البخاري عن ابن عباس* –رضي الله عنه– *قال: قال رسول الله* –رحمه الله–:

"أُريتُ النار فإذا أكثر أهلها النساء يَكْفُرنْ، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنتَ إلى إحداهُنَّ الدهر ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط"

٢– إذا أُعْطِيْن لم يَشْكُرْن، وإذا ابتُلِينَ لم يصبرن

أخرج الإمام أحمد عن عبدالرحمن بن شبل ﷺ قال: سمعت رسول الله –رحمه الله– *يقول:*

"إن الفُسَّاق هم أهل النار، قيل: يا رسول الله، ومَن الفُسَّاق؟ قال: النساء، قال رجل: يا رسول الله، أولسن أمهاتنا وأخواتنا وأزواجنا؟ قال: بلى، ولكنهن أُعْطِيْن لم يَشْكُرْن، وإذا ابتُلِينَ لم يصبرن" (الصحيحة:٣٠٥٨)

٣- ومن أسباب دخول النساء النار: التَّبَرُّج والسفور

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -رحمه الله-:

"صنفان من أهل النار لم أرهما..." *ثم ذكر في الحديث*"... ونساء كاسيات عاريات [١] مائلات [٢] مميلات [٣]، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنَّة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"

والتبرج هو سر الشقاء وسبيل لدخول النار، وقد نجح اليهود في نشر ثقافة العري، وملئوا بها وسائل الإعلام والفضائيات، وجعلوا من الممثلات والمغنيات والراقصات نجوم وقدوة تتسابق نساء المسلمين في تقليدهن ليدخلن من وراءهن النار- عياذاً بالله.

نسأل الله تعالى أن يحفظ نساء المسلمين...

- وهناك أسباب أخرى لدخول النساء النار: *ذكرها القرطبي* -رحمه الله- *في كتابه "التذكرة" (٣٦٩/١) فقال* - رحمه الله-: "وإنما كان النساء أقل ساكني الجنَّة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا، لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرها إلى الأخرى، فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهُّب لها، ولميلهن إلى الدنيا والتزيُّن لها، ومع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التي تصرف الرجال عن الآخرة، لما فيهن من الهوى والميل لهن، فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن، صارفات عنها لغيرهن، سريعات الانخداع لداعيهن من المعرضين عن الدين، عسيرات الاستجابة لِمَن يدعوهن إلى الأخرى، وأعمالها من المتقين"اهـ

تنبيه:

ما ذكر ليس على عمومه، ففي النساء صالحات كثير، يقمن حدود الله، ويلتزمن شريعته، ويطعن الله ورسوله، ويدخل منهن الجنَّة خلق كثير، وفيهن من يسبقن كثيراً من الرجال بإيمانهن وأعمالهن الصالحة.

---

(١) والكاسيات: قيل معناه كاسيات من نعمة الله، عاريات عن شكرها، وقيل: كاسيات من الثياب، عاريات عن فعل الخير، والاهتمام لأخرتهن، والاعتناء بالطاعات، وقيل: تكشف شيئاً من بدنها إظهاراً لجمالها، فهن كاسيات عاريات، وقيل: تلبس ثياباً رقاقاً، تصف ما تحتها.

(٢) مائلات: قيل: زائغات عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها، وقيل: متبخترات في مشيتهن، مميلات أكتافهن، وقيل: يتمشطن المشطة الميلاء، وهي مشطة البغايا معروفة لهم.

(٣) مميلات: يعني يعلمن غيرهن مثل فعلهن، وقيل: يمشطن غيرهن المشطة الميلاء، وهي مشطة البغايا، وهي معروفة لهن، وقيل: المعنى هو مائلات إلى الرجال، مميلات لهم بما يبدين من زينتهن وغيرها.

إشكال والرد عليه:

علمنا فيما سبق: أن أكثر أهل النار هن النساء، كما أخبر بذلك الحبيب النبي -صلى الله عليه وسلم-

وجاء كذلك في حديث أخرجه الإمام مسلم عن عمران بن حصين ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"إن أقل ساكني الجنَّة النساء"، *في حين أنه جاء في حديث آخر عند مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في أهل الجنَّة:*"لكل امرئ منهم زوجتان"، وهذا يعني أن النساء أكثر من الرجال، فكيف يمكن الجمع؟

قال بعض من أهل العلم: "إن الجمع بين الحديثين أن يقال، في الحديث الأول وهو قلة النساء في الجنَّة إنما هو قبل خروج عصاة الموحدين في النار، فإذا خرجوا منها، كان النساء حينئذ في الجنَّة أكثر، وذهب البعض إلى أن المقصود بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- عن أهل الجنَّة: "لكل امرئ منهم زوجتان" لم يرد به نساء الدنيا، وإنما المقصود به الحور العين، وبهذا تتفق الأدلة، ولا يكون هناك تعارض بين الأحاديث، وهو الراجح، ويدل على هذا الرأي ما رواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"للرجل من أهل الجنَّة زوجتان من الحور العين"

فهاتان الزوجتان من الحور العين لابد لكل رجل دخل الجنَّة، أما الزيادة على ذلك فتكون بحسب الدرجات والأعمال. اهـــ بتصرف (مختصر "التخويف من النار": ص٧٣)

١٢) *أودية ومساكن جهنم:*

في جهنم أودية سمَّى الله منها:-

١- وادي الويل:

قال تعالى: **{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ}** [المطففين:١]

قال تعالى: **{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ{١} الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ{٢} يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ}** [الهمزة:١-٣]

وقال تعالى: **{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ}** [المرسلات:١٥]، وقال تعالى: **{ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}**[الأنبياء:١٨]

- وأخرج الترمذي والحاكم وابن أبي الدنيا عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله -رحمه الله- قال:"الويل وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، والصَّعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً يهوي به كذلك فيه أبداً" (صححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي)

وقيل: "إن الويل هو التوعُّد بالعذاب الشديد".

٢- وادي الغي:

قال تعالى: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً} [مريم:٥٩]

قال ابن مسعود ﷺ: "الغي" هو وادٍ في جهنم يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات"

(أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار: ص٤١)

وروي عنه أنه قال في قوله تعالى: {فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً} وادٍ في جهنم بعيد قعره، خبيث طعمه"

وقال البراء بن عازب ﷺ: "الغي": واد في جهنم بعيد القعر، منتن الرائحة"

(أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار: ص٤٦٠)

وهذا كله لا يقال من قبل الرأي، فله حكم الرفع.

وقفة:

أضاف بعض أهل العلم واديان آخران وهما: "وادي المَوْبق"، "ووادي الحُزْن"، وفيها أحاديث لكن لا ترتقي لدرجة الاحتجاج.

أما وادي الحزن:

- *فقد أخرج البيهقي عن علي بن أبي طالب* ﷺ *قال: قال رسول الله* -رحمه الله-:

"تعوَّذُوا بالله من جُبِّ الحُزْن- أو وادي الحزن- قيل: يا رسول الله، وما جُبّ الحُزْن - أو وادي الحزن-؟ قال: وادٍ في جهنم تتعوَّذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة، أعده الله للقُرَّاء المرائين"

(ورواه ابن ماجه أيضا بلفظ آخر وهو أيضا ضعيف)

أما وادي المَوْبق:

فقد قال تعالى: {وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً} [الكهف:٥٢]

وقد أخرج البيهقي في "البعث والنشور" عن أنس بن مالك ﷺ *أنه قال في قوله تعالى:* {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً}: "وادٍ من قيح ودم".

وأخرج البيهقي عن ابن عمر -رضي الله عنه- *أنه قال عن الموبق:*

"واد في النار عميق، فرق يوم القيامة بين أهل الهدى والضلالة".

وأخرج البيهقي كذلك عن ابن عباس -رضي الله عنه- *أنه قال في قوله تعالى:* {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً} *قال:* "مهلكاً".

- مســـاكن أهل الـــنـــار:

فأهل النار كما أنهم يأكلون ويشربون ويلبسون ولهم مهاد وفرش، فكذلك لهم سكن يسكنون فيه، وقد أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– أن الذي يكذب عليه؛ يُبنَى له بيت في النار

– ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن ابن عمر –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:

"إن الذي يكذب عليَّ يُبنَى له بيت في النار" (صحيح الجامع:١٦٩٤)

وهناك مَن يكون مسكنه عصارة أهل النار، وهم الذين يفترون الكذب على الناس

– فقد جاء في "سنن أبي داود" من حديث ابن عمر –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –رحمه الله– يقول:

"... مَن قال في مؤمن ما ليس فيه؛ أسكنَهُ الله ردغة الخبال، حتى يخرج ممَّا قال"

– زاد الطبراني في روايته: "وليس بخارج" (صحيح الجامع: ٦١٩٦)

- سجن أهــل الــنــار:

قال تعالى: **{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ{٧} وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ}** [المطففين:٧-٨]

{سِجِّينٌ} فعيل من السجن، وهو الضيق، وقد عظم الله أمره، فقال: **{وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ}** أي أمر عظيم، وسجن مقيم، وعذاب أليم" (الفتح الرباني باختصار:٧/٧٧)

وهناك سجن في جهنم يسمي بُولَس، أعده الله للمتكبِّرين.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:

"يُحشَر المتكبِّرُون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذلُّ من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمي بُولَس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال"

١٣) جهنم تتكلّم وتسمع وتبصر، ولها شهيق وزفير:

النار تتكلم:

قال تعالى: **{يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ}** [ق:٣٠]

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"يخرجُ عنق من النار يوم القيامة: له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وُكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل مَن دعا مع الله إلها آخر، وبالمُصَوِّرين" (صحيح الجامع:٨٠٥١)

النار ترى، وتزفر، ولها شهيق، وتطلق الأصوات المرعبة، التي تدل على مدى خنقها وغيظها

قال تعالى:**{بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً{١١}** إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً}[الفرقان:١١-١٢]

قوله: **{رَأَتْهُم}** تدل على أنها تبصر، *وقوله:* **{سَمِعُوا لَهَا}** يدل على أنها تتكلم، *وقوله:* **{تَغَيُّظاً وَزَفِيراً }** يدل على أنها تغضب.

- *يقول الضحاك* -رحمه الله-: "إن لجهنم زفرة يوم القيـــامة، لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا خرَّ ســـاجداً، يقول: "رب نفسي نفسي". اهـــ

ويدل على غضبها كذلك قوله تعالى: **{إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ {٧}تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ}** [الملك:٧-٨]

- *وجاء في "التفسير المحيط"(٣١٦/١٠) في قوله تعالى:* **{سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً}**أي صوتاً منكراً كصوت الحمار تُصَوِّتُ مثلَ ذلك لشدة توقدها، وغليانها"

مشهد مروع، تضطرب له القلوب، وتقشعر لهوله الجلود، فجهنم تتميز من الغيظ، وهي تتلقف أفواج الكافرين بشهيق وهي تفور، حتى لتكاد جوانبها تتفجر من الغيظ، كما قال تعالى: **{تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ}** أي يكاد ينفصل بعضها من بعض، من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم" (تفسير ابن كثير:١٧٨/٨)

- *وقال القرطبي* -رحمه الله- *في تفسيره عند قوله تعالى:* **{وَهِيَ تَفُورُ}**أي تغلي، *وقال مجاهد:* "تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير، *وقال ابن عباس* -رضي الله عنه-: "تغلي بهم على المرجل، وهذا من شدة لهب النار من شدة الغضب، كما تقول: "فلان يفور غيظاً" (الجامع لأحكام القرآن:٢١٢/١٨)

اللهم نجّنا من النار بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين.

١٤) أوصاف أهل النار:

عندما يدخل أهلُ النارِ النارَ تتبدل أجسادهم، وتتغير أوصافهم، فالمناظر مفزعة، والأجساد ضخمة هائلة لتصلى النار، وتذوق العذاب.

- أجساد أهل النار:

– *فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله* –رحمه الله–:

"ما بين منكبي[1] الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المُسْرِع"

– *وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله* –رحمه الله–:

"إن غِلَظَ جلدِ الكافرِ اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبَّار[2]، وإن ضرسَهُ مثلُ أُحد، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة" (صحيح الجامع: ٢١١٤)

– *وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله* –رحمه الله–:

"ضِرْسُ الكافر، أو ناب الكافر، مثل أُحد، وغِلَظُ جلدِه مسيرة ثلاثة أيام"

– *وأخرج الإمام أحمد عن زيد بن أرقم ﷺ قال:*

"إن الرجل من أهل النار ليعظم للنار، حتى يكون الضِرْسُ من أضراسه كأُحد"[3] (السلسلة الصحيحة: ٤/١٣١)

– *وأخرج الإمام أحمد والحاكم في "المستدرك" عن مجاهد قال: قال ابن عباس* –رضي الله عنه–:

"أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا، قال: أجل والله، والله ما تدري، إن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً، تجري فيه أودية القيح والدم، قلت: أنهاراً، قال: لا. بل أودية"

– *وأخرج الترمذي وأحمد من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:*

"ضِرْسُ الكافر مثل أُحد، وفخذه مثل البيضاء[4]، ومقعده من النار، كما بين قديد ومكة، وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبَّار" (صحيح الجامع: ٣٨٩١)

– *وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد والحاكم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله* –رحمه الله–:

"ضِرْسُ الكافر يوم القيامة مثل أُحد، وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل وَرْقان، ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة[5]" (السلسلة الصحيحة: ٣/٩٤)

---

(١) المنكب: مجتمع رأس الكتف والعضد.

(٢) *قال المنذري* –رحمه الله–: "الجبَّار ملك باليمن له ذراع معروف المقدار" (تحفة الأحوذي: ٦/٣٨٢)، *وقال البيهقي* –رحمه الله–: "أراد التهويل – أي بلفظ الجبَّار–ويحتمل إرادة جبَّار من الجبابرة"(فيض القدير:٥/٥٥٤)

(٣) وهذا الحديث وإن لم يصرح زيد بن أرقم برفعه، إلا إنه له حكم المرفوع؛ لأن هذا لا يقال من قبل الرأي.

(٤) البيضاء: اسم جبل، أو يعني بها المدينة المعرفة بالمغرب.

(٥) الربذة: *قال الإمام المنذري في "فيض القدير":* "هي قرية بقرب المدينة، قال القاضي: "ويريد ما بين الربذة والمدنية، والربذة على ثلاث

- *وفي رواية عند الترمذي والحاكم:*

"وإن ضرسه مثل أُحد، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة" (صحيح الجامع: ٢١١٤)

ولكن لماذا يعظم حجم جسم أهل النار بهذا الشكل؟

والجواب ما قاله الإمام النووي في "شرحه على مسلم" (١٨٦/١٧):

"هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه، وكل هذا مقدور لله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق -رحمه الله- به". اهـ

*ويجيب عن ذلك أيضاً ابن كثير -*رحمه الله- *في كتابه "النهاية في الفتن والملاحم" (١٣٩/٢):*

"ليكون ذلك أنكى في تعذيبهم، وأعظم في تعبهم ولهيبهم، كما قال شديد العقاب: {لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ}اهـ [النساء:٥٦]

وقفة:

*يقول الحافظ المنذري -*رحمه الله-*:* "وقد ورد أن من هذه الأُمَّة مَن يعظم في النار كما يعظم فيها الكفار، *فروى ابن ماجه والحاكم وغيرهما من حديث الحارث بن أقيش* ﵁ *أن رسول الله -*رحمه الله- *قال:*

"إن من أُمّتِي مَن يدخل الجَنَّة بشفاعته أكثر من مضر، وإن من أُمَّتِي مَن يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها"

(ضعفه البعض وصححه الألباني)

اللهم نجنا من النار بفضلك يا أكرم الأكرمين

مراحل منها بقرب ذات عرق.

أما عن وجوه أهل النار:

فوجوههم سوداء مظلمة علاها الغبار، وأرهقها الذل،

قال تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ }[الزمر:٦٠]

وقال تعالى: {وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً} [يونس:٢٧]

فسواد الوجه شديد، وكأنه حلت ظلمة الليل في وجوههم، وقال تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}[آل عمران:١٠٦]

وفي قوله تعالى: {وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ}، *يقول ابن عباس* –رضي الله عنه–: "يعرفون أهل الجنَّة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه".

وقال تعالى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ{٤٠} تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ{٤١} أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ}[عبس:٤٠-٤٢]

وقال تعالى: { وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ{٢٤} تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} [القيامة:٢٤-٢٥]

– وأهل النار وجوههم قد علاها الذل، وأبصارهم قد خشعت وذلت:

قال تعالى: {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ} [القلم: ٤٣]

وقال تعالى: {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ} [الشورى: ٤٥]

وقال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ{٢} عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ{٣} تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً} [الغاشية:٢-٤]

– وهذه الوجوه قد علاها الخزي وغشيها السواد:

قال تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الملك:٢٧]

والوجه كما هو معلوم أشرف وأكرم ما في الإنسان، ولذلك نهانا الرسول –رحمه الله– عن ضرب الوجه، وهذه الوجوه التي كان الإنسان يفديها في الدنيا من الضربات أو الايذاء، هو الذي يستقبل بها العذاب يوم القيامة، وهذا من سبيل الإهانة لأهل النار.

قال تعالى: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا} [الأحزاب:٦٦]

وقال تعالى: {سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ} [إبراهيم:٥٠]

وقال تعالى: {تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ} [المؤمنون:١٠٤]

وقال تعالى: {وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [النمل:٩٠]

وقال تعالى: {أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ}[الزمر:٢٤]

وقال تعالى:{لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} [الأنبياء:٣٩]

١٥) ضيافة أهل النار:

قال تعالى: { إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً} [الكهف:١٠٢]

وقبل الحديث عن ضيافتهم، وما أعدَّ الله لهم في جهنم، نتكلم عن كيفية دخلول أهل النار إلى جهنم، حيث يُسَاق أهل النار إلى النار سوقاً شديداً، ويدفعون إليها دفعاً، كما قال تعالى:

{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً{١٣} هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ}[1] [الطور:١٣-١٤]

– ثم إذا اقتربوا منها فتحت أبوابها في وجوههم بغتة حتى يصيبهم الفزع من هول المنظر، قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر:٧١]

– فإذا فتحت أبواب جهنم ألقي فيها أهلها من مكان ضيق، وهم مقيدون بالسلاسل والاغلال،

قال تعالى: {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً}[2] [الفرقان:١٣]

– وهذا الإلقاء إنما يكون على وجوههم، قال تعالى: {وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [النمل:٩٠] (اليوم الآخر في القرآن العظيم: ص٤٥٧)

– ثم يلقى بعضهم على بعض، كما قال تعالى: {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ{٩٤} وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ}[3] [الشعراء:٩٤-٩٥]

ثم يتم استقبالهم في جهنم أسوأ استقبال، ويبدأ العذاب النكال

- أما عن كيفية استقبالهم:

فقد قال تعالى: { هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ{٥٥} جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ{٥٦} هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ{٥٧} وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ{٥٨} هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ{٥٩} قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ} [ص:٥٥-٦٠]

– وقوله: {لَشَرَّ مَآبٍ}أي شر مرجع يرجعون إليه يوم القيامة، وشر مردٍّ يردون إليه.

– وقوله: {حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ} الحميم الذي بلغ أعلى درجات الغليان، والغسَّاق: البارد شديد البرودة، فيتناولون هذا بعد ذاك مما يسب لهم آلاماً شديدة.

– وقوله: {وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} أي وصور أُخَر من صور العذاب على هذه الشاكلة.

– أما قوله تعالى: {هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ ...} قيل: أي لا ترحب بهم النار، ولا تتسع لهم، وقيل: "إن الذين لا يرحبون بهم هم مَن سبقوهم بالدخول في النار، فمَن يُلقى في النار ينتظر مَن يواسيه ممَّن دخلها قبله، فإذا بهم يقولون لهم: لا مرحباً بكم، كما قال تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا} فيرد الداخلون الجدد على مَن سبقوهم إلى النار بقولهم: {بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ} أي أنتم الذين تسبَّبتم لنا في هذا العذاب، فبئس المستقر تستقرون فيه، فهنالك يدعو الجميع على مَن كان السبب فيقولون:{ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ}

---

(١) الدع: الدفع الشديد.

(٢) مقرنين: أي مشدودين ومربوطين" (مفردات القرآن للأصفهاني: ص٦٦٧)

(٣) كبكبوا: يعني أُلقي بعضهم على بعض. (لسان العرب لابن منظور: ٦٩٧/١)

فتعالى لنرى ما يعد لأهل النار، وكيف تكون ضيافتهم:-

أولاً: طعام أهل النار:

١- الزقوم:

قال تعالى: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ{٤٣} طَعَامُ الْأَثِيمِ{٤٤} كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ{٤٥} كَغَلْيِ الْحَمِيمِ} [الدخان:٤٣-٤٦]

فأهل النار يأكلون الزقوم فيترل في بطونهم كالزيت المغلي، يغلي في البطون كما يغلي الحميم: وهو الماء الذي قد انتهى حره.

- والزقوم شجرة تخرج من أصل الجحيم، خبيثة الطعم، شديدة القبح، شبهها رب العالمين برءوس الشياطين، قال تعالى عنها: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ{٦٢} إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ{٦٣}[1] إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ{٦٤} طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ{٦٥} فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ{٦٦} ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ{٦٧} ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ}[2] [الصافات:٦٢-٦٨]

- هل تعلم أخي الحبيب أن قطرة واحدة من الزقوم لو نزلت على أهل الأرض لأفسدت عليهم معايشهم فكيف بمَن تكون طعامه؟!

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن ابن عباس –رضي الله عنه- *عن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال:*

"لو أن قطرة من الزقوم قَطَرَتْ في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمَن تكون طعامه؟"

(صحيح الجامع:٥٢٥٠)

ومع كون قطرة واحدة من الزقوم تفسد على أهل الدنيا معايشهم، إلا أن أهل النار من شدة الجوع يأكلون من الزقوم حتى يملؤون منها البطون، قال تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ{٥١} لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ{٥٢} فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ{٥٣} فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ{٥٤} فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ{٥٥} هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} [الواقعة:٥١-٥٦]

- *قال ابن عباس* –رضي الله عنه-: "الهيم: الإبل العطاش"، - *وقال السدي:* "هو داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً"

---

(١) في قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ}: يقول ابن كثير –رحمه الله- في "تفسيره": قال قتادة: "ذكرت شجرة الزقوم فافتتن بها أهل الضلالة، وقالوا: صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فأنزل الله تعالى: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ}غُذِّيت من النار ومنها خلقت، وقال مجاهد: {إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ}، قال أبو جهل- لعنه الله-: "إنما الزقوم التمر والزبد أَتَزَقَّمُه - أي أبتلعه-". اهـ

قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله-: "والزقوم لغة: من "الزقم"، وهو اللقم الشديد والشرب المفرط، وكان أبو جهل يقول عن شجرة الزقوم: أما والله لئن أمكننا الله منها لتزقّمْناها تزقماً، فترلت الآية، وأن الله سيجازيهم بأن يأكلوا منها يملؤوا البطون.

فأهل النار يلقي عليهم الجوع فلا يجدون مفراً من الأكل من شجرة الزقوم حتى يملؤوا بطونهم، فإذا امتلأت بطونهم أخذت تغلي في أجوافهم كما يغلي دردي الزيت، ويسلط عليهم العطش فيشربون من الحميم وهو الماء الذي تناهي حرُّه، فشربوا منه كشرب الإبل التي تشرب ولا تروى، وعند ذلك يقطع الحميم أمعاءهم، كما قال تعالى: {وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ}[محمد:١٥] وهذه هي ضيافتهم يوم القيامة.

(٢) والشوب: هو الخلط والمزج، أي يخلط الزقوم المتناهي في القذارة والمرارة مع الحميم المتناهي في اللهيب والحرارة.

- *وقال ابن كثير* –رحمه الله-: "ومعنى الآية إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختباراً نختبر به الناس مَن يصدق منهم ممَّن يكذب، كقوله تعالى: **{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً}**[الإسراء:٦٠]، وقوله تعالى: **{إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ}** [الصافات:٦٤]، أي أصل منبتها في قرار النار، **{طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ}**: تبشيع لها وتكريه لذكرها، وإنما شبهها برءوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين؛ لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر.اهـ (مختصر تفسير ابن كثير: ٣/٢١٦)

٢- الضريع:

قال تعالى: **{لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ{٦}** لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ} [الغاشية:٦-٧]

والضريع: نبات ذو شوك لا تأكله الدواب لخبثه، *وقال ابن عباس* –رضي الله عنه- *عن الضريع:* "إنه شجر في جهنم، وقيل: "إن الضريع: طعام في النار كالشوك، مُرٌّ منتن لا يدفع عن أهل النار جوعاً.

٣- الغسلين:

قال تعالى: **{فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ{٣٥} وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ}** [الحاقة:٣٥-٣٦]

قال ابن عباس –رضي الله عنه-: "الغسلين هو الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحوم أهل النار، *وقال القرطبي:* "والغسلين هو عصارة أهل النار، وقيل: ما يسيل من فروج النساء الزواني، ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم".

تنبيهـــان:

(١) مر بنا في الآية السابقة أنه ليس لأهل النار طعام إلا الضريع، وجاء في الآية الأخري أن طعامهم الغسلين، وآيات أخرى تقول: "إن طعامهم الزقوم، فكيف نجمع بين هذا؟

والجواب: لعل الضريع يكون في وقت من الأوقات هو أكل أهل النار لا يتغير، وفي أوقات أخرى يكون طعامهم الزقوم لا يتغير، وفي أوقات أخرى يكون طعامهم الغسلين لا يتغير... وهكذا.

وقد يقال: "إن العذاب أنواع، والمعذبين طبقات، فمنهم مَن يكون أكله وطعامه الضريع، ومنهم مَن يكون طعامه الزقوم، ومنهم مَن يكون طعامه الغسلين.

(٢)- طعام أهل النار خبيث الطعم، مر المذاق، كريه الرائحة، كثير الشوك، قبيح المنظر، له غصة فهو يتعلق بالحلق، فلا يدخل إلى الجـــوف، ولا يخرج خـــــارج الفم، قـــال تعالى:

{إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً{١٢} وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً}[(١)] [المزمل:١٢-١٣]

قال ابن عباس –رضي الله عنه- *في الآية السابقة*: "شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج"

(رواه أحمد، وذكره ابن الدنيا في صفة النار: ص٦٤)

وإذا توقف الطعام ذو الشوك في الحلوق، يستغيث أهل النار ويطلبون الماء، فيجاب لطلبهم، ويغاثون بالماء كالمهل يشوي الوجوه، وهو نوع من أنواع شراب أهل النار.

- يُروَى عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال:

"يُلقى على أهل النار الجوع، حتى يعدِل عندهم ما هم فيه من العذاب، قال: فيستغيثون فيُغاثون بالضريع، لا يسمن، ولا يغني من جوع، فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يُجيزون الغصص بالشراب، فيستغيثون فيغاثون بماء من حميم في كلاليب من حديد، فإذا أَدْنَوْه إلى وجوههم شوى وجوههم، فإذا أدخلوه بطونهم قطَّع ما في بطونهم، قال: فينادون: **{ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ}** ، قال: فيجابون: **{أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ}**، قال: فيقولون: نادوا مالكاً، فينادون: **{يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}**، قال: فأجابهم: **{إِنَّكُم مَّاكِثُونَ}**، قال: فيقولون: ادعوا ربكم، فلا شيء أرحم بكم من ربكم، قال: فيقولون: **{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ}**، قال: فيجيبهم: **{اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}**، قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير، ويأخذون في الويل، والشهيق، والثبور". (مصنف ابن أبي شيبة)

(١)- *روى شعبة عن سعد بن إبراهيم قال:* "أُتي عبد الرحمن بعشائه وهو صائم فقرأ: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً{١٢} وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً} [المزمل:١٢-١٣]، فلم يزل يبكي حتى رفع طعامه وما تعشى، وإنه لصائم.

وقفة:

هناك مَن يكون طعامه جمر جهنم- عياذاً بالله – ومنهم:-

أ- علماء الضلالة ودعاة السوء:

قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ}** [البقرة:١٧٤]

ب- الذين يأكلون أموال اليتامي ظلماً:

قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً}**[النساء:١٠]

جـ- مَن يسأل أموال الناس وعنده ما يغنيه:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال: قال رسول الله -رحمه الله-:

"مَن سأل شيئاً وعنده ما يُغنيه، فإنما يستكثر من جمر جهنم، قالوا: وما يُغنيه؟ قال: قَدْر ما يغدِّيه ويعشيه"

(صحيح الجامع: ٦٢٨)

وعند الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -رحمه الله-:

"مَن سأل الناس أموالهم تكثراً، فإنما يسأل جمر جهنم، فليستقل منه أو ليستكثر"

د- مَن يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أم سلمة -رضي الله عنها- *قالت: قال رسول الله* -رحمه الله-:

"الذي يشرب في آنية الذهب والفضة" – *وفي رواية مسلم:* "إن الذي يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب إنما يجرجر في بطنة نار جهنم"

ثانياً: شراب أهل النار:

بعد أن يقف الناس في أرض المحشر خمسين ألف عامٍ بلا طعام ولا شراب، وبعد القضاء والحساب، يساق أهل النار إلى النار عطاشاً، كما قال تعالى: {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً}[مريم: ٨٦]

ويصوِّر لك القرآن مدى اشتياق أهل النار إلى الماء، وذلك في قوله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ}[الأعراف:٥٠]

فإذا تقطعت أعناق أهل النار من شدة العطش، وبلغ الظمأ مداه؛ سقوا ما أعد لهم من شراب أهل النار وهو:-

١- المهل:

قال تعالى: {وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً} [الكهف:٢٩]

ومعنى "المهل" كما جاء في الحديث: "كعكر الزيت، فإذا قرَّب وجهه سقطت فروة وجهه فيه"

(رواه أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً)

- *وقال ابن عباس* -رضي الله عنه- *في تفسير: "المهل"*: "غليظ كدردي الزيت" يعني ما يبقى أسفل الزيت"

- *قال ابن عمر* -رضي الله عنه-: "هل تدرون ما المُهل؟ هو الزيت المغلي يقال: "مهل الزيت يعني أحرَّه"

(الزهد لابن المبارك:ص٤٣٩)

- *وقال مجاهد في قوله:* {يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ } مثل القيح والدم أسود كعكر الزيت"

- *وقيل:* "إن المهل: كل شيء إذبته من نحاس أو رصاص... ونحو ذلك"

(قاله أبو عبيدة في "مجاز القرآن:١/٤٠)،(والقرطبي في "تفسيره:١٦/١٠٠)

فالمهل يجمع نوعين من أنواع العذاب: الأول بصري: وهو لون العكارة والشكل القبيح، والآخر حسي: وهو لهبه الفظيع، وحرارته التي تشوي الوجوه.

٢- الحميم:

وهو الماء المغلي الذي قد بلغ أعلى درجات الغليان، وتناهى حرَّه، فقال تعالى:

{لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ}(١) [الأنعام:٧٠]

فإذا شرب أهل النار الحميم تمزقت وتقطعت الأمعاء من شدة الحرارة

قال تعالى: {وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ} [محمد:١٥]

ويروى أن أحدهم مرَّ بمدينة "سامراء" وكان بها كَرْم يأخذ ليعصر خمراً فقال:

بسامراء كَرْم ما مررتَ به   إلا تعجَّبْت ممَّن يشرب الماء

فهتف به هاتف فقال:

وفي جهنم ماء ما تجرعه   حلق فأبقى له في البطن أمعاء

- وهذا الحميم لو صُبَّ على رءوس أهل النار، كان تأثيره في الباطن كتأثيره في الظاهر؛ فيذيب الأحشاء والأمعاء تماماً كما يذيب الجلود، قال تعالى:

{ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ{١٩} يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ} [الحج:١٩-٢٠]

٣- الغسَّـــــاق:

قال تعالى: {لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً{٢٤} إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً} [النبأ:٢٤-٢٥]

- *قال ابن عباس* -رضي الله عنه-: "الغسَّاق: الزمهرير البارد الذي يحرق من يرده.

- *وقال مجاهد:* "الغسَّاق الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده.

فمن عجائب النار أن الله تعالى يُعذِّب فيها بالشيء وضده، يُعذِّب بالنار وبضدها الزمهرير.

يعذب بشراب الحميم وضده الغساق.

قال تعالى: {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ{٥٧} وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} [ص:٥٧-٥٨]

فالحميم هو الحار الذي قد انتهى حرَّه، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم، ولهذا قال ﷻ: {وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ}أي وأشياء من هذا القبيل: الشيء وضده يعاقبون بها"

(تفسير ابن كثير:٤/٤١)

٤- الصديد:

قال تعالى: {مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ{١٦} يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ} [إبراهيم:١٦-١٧]

والصديد: هو عصارة أهل النار من القيح والدم، *وقال قتادة* -*رحمه الله*-: "الصديد ما يسيل من بين لحمه وجلده،

(١) فالحميم هو الماء الحار الذي تناهى حرَّه، كما قال تعالى: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ}[الرحمن:٤٤]، والـ(آن)هو الذي انتهى حره، وقال تعالى: {تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ} [الغاشية:٥]، وهي التي انتهى حرها فليس بعدها حر.

وعندما يشربه لا يستسيغه من شدة نتانته وكثافته".اهـ

- *وروي عن مجاهد أنه قال:* **{مَّاء صَدِيدٍ}**: يعني القيح والدم

وهذا الصديد يكثر خروجه من أهل النار حتى يصبح نهراً يسمي نهر الخبال"

وقد توعَّد الله ﷻ مَن شرب الخمر في الدنيا و لم يتب منها؛ أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة، وهي عصارة أهل النار

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جابر ﷺ *عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:*

"كل مُسْكِرٍ حرام، إن على الله ﷻ عهداً لَمن يشربُ المُسْكِر، أن يَسْقِيَه من طينة الخبال، قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار أو عصارة أهل النار"

- *وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمر* –رضي الله عنه– *قال: قال رسول الله* –رحمه الله–:

"مَن شرب الخمر وسكر، لم يقبل الله له صلاةٌ أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد في الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال، قيل: يا أبا عبد الرحمن، وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار" (صحيح الترمذي:٢/٦٩)

- *وفي رواية أخرى عند أبي داود من حديث ابن عباس* –رضي الله عنه– *عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:*

"كل مُخمَّر خَمْر، وكل مُسْكِرٍ حرام، ومَن شرب مُسْكِرًا بُخِسَت صلاته أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد في الرابعة كان حقاً علَى الله أن يَسْقِيَه من طينة الخبال: صديد أهل النار، ومن سقاه صغيراً لا يعرفُ حلاله من حرامه، كان حقا على الله أن يسقيَهُ من طينه الخبال" (صحيح الجامع:٤٥٤٨)

- *وفي رواية:* "مَن ترك الصلاة سُكْراً مرة واحدةً، فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسُلِبَها، ومَن ترك الصلاة أربع مرات، كان حقاً على الله ﷻ أن يسقِيَهُ من طينة الخبال، قيل: وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: عصارة أهل جهنم" (الصحيحة: ٧٣٢)

- أهل الكبر يشربون من عصارة أهل النار

فقد أخرج الترمذي من حديث ابن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله –رحمه الله–:

"يُحشَرَ المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرَّ في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان فيساقون إلى سجن في جهنم يسمي بُولَس تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال"

(صحيح الترغيب: ٢٩١١)

وقفة:

لما سمع قتادة قوله تعالى: **{وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ{١٦}يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ}** [إبراهيم:١٦-١٧]

قال: "هل لكم بهذا قوة؟ أم لكم على هذا صبر؟ طاعة الله أهون عليكم– ياقوم– فأطيعوا الله ورسوله".

(التخويف من النار: ص١٥٧)

وصدق قتادة فطاعة الله أهون من عذابه، والعاقل مَن يختار

وقد أخرج الإمام مسلم وأحمد والنسائي عن أنس ﷺ عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:

"يؤتى بالرجل من أهل النار، فيقول له: يا ابن آدم، كيف وجدت مترلك؟ فيقول: أي رب شرّ مترل، فيقول له: أتفتدي منه بطلاع الأرض ذهباً؟ فيقول: أي رب نعم. فيقول: كذبت، قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل، فيرد إلى النار" (صحيح الجامع: ٧٩٩٦)

وهنا الحسرة الأبدية، والألم الذي لا ينتهي، والدموع التي لا تنقطع، والعذاب الذي يفتت الأكباد.

لكن لماذا يشرب أهل النار المهل والحميم والغساق والصديد مع كون هذه الأشربة تشوي الوجوه وتقطع الأمعاء؟

والجواب عن هذا: أهم يشربونها، ظانين أن هذا يدفع عنهم العطش، أو يزيل الغُصَّة التي في الحلق، أو يهون عنهم ألم وحرقة البطن، لكن ما زادهم هذا الشراب إلا عذاباً فوق عذابهم– نعوذ بالله من الخذلان.

- طريقة شرب أهل النار:

يشرب أهل النار بكثرة وشراهة وذلك لشدة العطش، قال تعالى: **{فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ}** [الواقعة:٥٥]

الهيم: هي الإبل العطاش، واحدها: أهيم، والأنثى: هيماء، ويشربون شرب الهيم: أي يشربون كما تشرب البهائم العطاش الظمأى، والمصابة بمرض يجعلها تشرب ولا ترتوي، وكذلك أهل النار لا يروون من الحميم أبداً"

تنبيه: هناك صنف من الناس شرابه السُمَّ؛ يقطع أمعاءه في نار جهنم

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:

"...ومَن شرب سُمًّا فقتل نفسه؛ فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً" الحديث

ثالثاً: لباس أهل النار:

لباسُ أهلِ النارِ نارٌ، كما قال العزيز الغفار: {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ}[الحج:١٩]

وكان إبراهيم التيمي إذا تلا هذه الآية يقول: "سبحان مَن خلق من النار ثياباً" (التخويف من النار ص١٢٦)

- وجاءت كلمة الثياب بالجمع لتراكم النار عليهم؛ فتكون كالثياب التي تلبس بعضها فوق بعض

- *وقوله:* {قُطِّعَتْ} أي قدرت لهم على قدر أجسادهم؛ لأن الثياب تقطع على مقدار بدن مَن يلبسها، - *ونقل ابن كثير في تفسير هذه الآية عن سعيد بن جبير* -رحمه الله- *أنه قال عن هذه الثياب:*

"هي ثياب من نحاس، وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي، والصحيح هو إجراء النص القرآني على ظاهره، خصوصاً إنه لم يكن هناك حديث مرفوع عن النبي -صلى الله عليه وسلم- يدل على هذا.

والغال الذي يأخذ من الغنيمة قبل أن تُقسَّم ومات على هذا له حظ ونصيب من هذه الثياب

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال:

"خرجنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى خيبر، ففتح الله علينا، فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً، غنمنا المتاع والطعام والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي، ومع رسول الله -رحمه الله- عبدٌ له، وهبه رجلٌ من جذام يدعى رِفاعة بن زيد، من بني الضُّبيب، فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله -رحمه الله- يحل رحله[1]، فرُمِيَ بسهم، فكان فيه حتفه[2]، فقلنا: هنيئا له الشهادة يا رسول الله!، قال رسول الله -رحمه الله-: كلا، والذي نفس محمد بيده إن الشملَةَ[3] لتلتهبُ عليه نار، أخذها من الغنائم يوم خيبر، لم تصبْهَا المقاسم، قال: ففزع الناس، فجاء رجل بشراك[4] أو شراكين، فقال يا رسول الله، أصبتُ يوم خيبر[5]، فقال رسول الله -رحمه الله-: شِراكٌ من نار أو شِراكين من نار"

---

(١) يحل رحله: الرحل هو مركب الرجل على البعير.

(٢) فكان فيه حتفه: أي موته، وجمعه "حتوف"، ومات حتف أنفه: أي من غير قتل ولا ضرب.

(٣) الشملة: كساء صغير يُؤتزر به.

(٤) بشراك: الشراك هو السير المعروف الذي يكون في النعل على ظهر القدم.

(٥) أصبت يوم خيبر: فيه حذف المفعول: أي أصبت هذا يوم خيبر.

- وكذلك مَن لبس ثوب شهرة له نصيب من هذه الثياب

فقد أخرج الإمام أحمد عن ابن عمر -رضي الله عنه- *قال: قال رسول الله* -رحمه الله-:

"مَن لبس ثوب شهرة، ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله، ثم يلهب فيه النار"

(صحيح الجامع: ٦٥٢٦)

وقفة:

إبليس أول مَن يُكْسَى حلة من نار:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أنس ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"أول مَن يُكْسَى حلة من النار إبليس؛ فيضعها على حاجبه أو حاجبيه، ويسحبها من بعدِهِ- وذريته من بعده – أو من خلفه – وهو ينادي: يا ثُبوراه[1]، وينادون: يا ثبورهم مرتين، حتى يقفوا على النار، فيقول: يا ثُبوراه، ويقولون: يا ثبورهم، فيقال لهم: {لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً}[الفرقان:١٤]

(*قال الهيثمي في "المجمع:*"رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وقد وثق)

وقال تعالى: {وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ{٤٩} سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ}[2] [إبراهيم:٤٩-٥٠]

والنائحة التي ماتت و لم تتب لها حظ ونصيب من هذا الثياب

- *فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله* -رحمه الله-:

"النائحة إذا لم تتب قبل موتها؛ تقام يوم القيامة وعليها سِرْبَالٌ من قَطِرَان[3] ودرعٌ من جرب"[4]

- *وعند ابن ماجه بلفظ:* "النائحة إذا ماتت و لم تتب قطع الله لها ثياباً من قطران ودرعاً من جرب"

- *وفي رواية أخرى عند ابن ماجه أيضاً من حديث ابن عباس* -رضي الله عنه- *مرفوعاً:*

"النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت، فإنها تُبعَث يوم القيامة عليها سرابيل من قطران، ثم يُغلى عليها بدروعٍ من لهب النار" (صحيح الجامع: ٦٨٠٩)

وأهل النار ينتعلون نعالاً من نار:

---

(١) الثبور: الهلاك.

(٢) السرابيل: جميع "سربال"، والسربال هو القميص أو الدرع، *وقيل:* كل ما لبس فهو سربال"(لسان العرب: ٣٣٥/١١)

(٣) والقطران: هو الذي تطلي به الإبل الجربى، أي تطلي به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسرابيل، وهذا مروي عن الحسن، وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه، مع نتن رائحته ووحشة لونه، وقيل:" إن القطران هو النحاس المذاب، كما في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً }[الكهف:٩٦] يعني: نحاس مذاب" وهذا مروي عن ابن عباس -رضي الله عنه-، *وقيل:* هو الزفت، ولعله الأرجح.

(٤) *يقول الإمام النووي* -رحمه الله- *في شرح هذا الحديث:* "فيه دليل على تحريم النياحة وهو مجمع عليه، وفيه صحة التوبة ما لم يمت المكلف، و لم يصل إلى الغرغرة". اهـ

- *وقد مرَّ بنا حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- في شأن مَن أخذوا شراك أو شراكين قبل تقسيم الغنيمة، فقال النبي* -رحمه الله-: "شراك من نار أو شراكين من نار"

- *فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري* رضي الله عنه *أن النبي* -صلى الله عليه وسلم- *قال:*
"إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار؛ يغلي دماغه من حرارة نعليه"

- *وعند مسلم من حديث النعمان بن بشير* رضي الله عنه *عن النبي* -صلى الله عليه وسلم- *قال:*
"ان أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وأنه لأهونهم عذاباً"

رابعاً: فِراشُ أهل النار وغطاؤهم:

النار تكون حول المجرمين من كل مكان، وتحيط بهم من كل جانب

قال تعالى: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [العنكبوت:٥٤]

وقال تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} [الكهف:٢٩]

فالنار أمامهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم، بل فراشهم من النار، وغطاؤهم من النار، ووسائدهم من النار.

قال تعالى: {لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} [الأعراف:٤١]

فالمهاد: هو الفراش، والغواش: جمع "غاشية" أي: نيران تغشاهم، وهي الأغطية كاللحاف" (قاله محمد بن كعب والضحاك والسدي)

فمقصود الآية: أنهم يفترشون النار، ويلتحفون بألحفة من النار

وقال تعالى: {وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً}[الإسراء:٨]

قال الحسن -رحمه الله-: "أي فراشا ومهاداً، *وقال قتادة:* {حَصِيراً} أي محبساً حُصِروا فيها، فلا يفلت منهم أحد".

فالنار محدقة ومحيطة بهم من كل مكان، كما قال الواحد الديان:

{يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت:٥٥]

وقال تعالى: {لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ } [الزمر:١٦]

والظلل: هي أطباق من النار كثيرة متراكمة، من فراش ومهاد وسرادقات..."

وإطلاق الظلل عليها تهكماً؛ لأن الظلة تقي من الحر، لكن هذه الظلة لا تقي من حر جهنم.

أما عن ظلهم الذي يستظلون به:

فإنه ظل من دخان أسود شديد السواد، حارٌّ شديد الحرارة، فهو ليس على الحقيقة بظل، بل هو نوع من أنواع العذاب، ويدلك على هذا قوله تعالى:

{انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ{٣٠} لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ} [المرسلات:٣٠-٣١]

والظل يشعر عادة بالنداوة والبرودة، كما أن النفس تحبه وتستريح إليه، أما هذا الظل فإنه ليس بارد المدخل، ولا بكريم المنظر، له ثلاث شعب: شعبة عن يمينهم، وشعبة عن شمالهم، وشعبة من فوق رءوسهم، أي أن الدخان محيط بهم من كل جانب، وهذا الظل ليس بظليل، بل هو ظل من يحموم

كما قال رب العالمين: {وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ{٤٣} لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} [الواقعة:٤٣-٤٤]

١٦) *وصف عذاب أهل النار:* [1]

إن الذي يتأمل ويتدبر في القرآن الكريم؛ يجد في آيات كثيرة أن الله ﷻ وصف عذاب الآخرة بأوصاف كثيرة متنوعة، وهذا يدل على شدة العذاب وعظمته، *فمن هذه الأوصاف:*-

١- أنه أشق وأشد:

قال تعالى: {لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِن وَاقٍ} [الرعد:٣٤]

وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} [طه:١٢٧]

٢- أنه غرام:

قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً} [الفرقان:٦٥]

والغرام: اللازم الدائم، ومنه سمي "الغريم" لملازمته، ويقال: "فلان مغرم بكذا"، أي ملازم له ومولع به، هذا معناه في كلام العرب.

٣- العذاب المُهين:

قال تعالى: {بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [البقرة:٩٠]

فلما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر؛ قوبلوا بالإهانة والصغار في الآخرة.

كما قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر:٦٠]

أي صاغرين حقيرين ذليلين راغمين". (تفسير ابن كثير ١/١١٢)

---

(١) الإيمان باليوم الآخر، للدكتور: على الصلابي- حفظه الله – باختصار.

٤- العذاب الأخزى:

قال تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ} [فصلت:١٦]

وقال تعالى: {رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} [آل عمران:١٩٢]

٥- العذاب العظيم:

قال تعالى: {وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران:١٧٦]

٦- العذاب السيئ:

قال تعالى: {أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ} [الزمر:٢٤]

وقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر:٤٧]

٧- العذاب الأكبر:

قال تعالى: {كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ{٢٥} فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [الزمر:٢٥-٢٦]

وقال تعالى: {كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [القلم:٣٣]

وقال تعالى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ{٢١} لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ{٢٢} إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ{٢٣} فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ} [الغاشية:٢١-٢٤]

١٧) صور من عذاب أهل النار:

هناك عذاب حسي لأهل النار، وكذا هناك عذاب معنوي

- أولاً: العذاب الحسي:

ومن صور العذاب الحسي:

١ - تسليط العطش على أهل النار:

وهو من أشد عذاب أهل النار قسوة

قال أبو عمران الجوني: بلغنا أنّ أهل النار يبعثون عطاشاً، ثم يقفون مشاهد القيامة عطاشاً، ثم قرأ:
{وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً} [مريم:٨٦]
{وِرْداً} *قال الضحاك:* "يعني عطاشاً"، وقال مجاهد: "منقطعة أعناقهم من العطش".

فعندما يقوم الناس جميعاً لرب العالمين يوم القيامة، ويقفون في أرض المحشر خمسين ألف سنة حفاة عراة غرلاً، لا يأكلون ولا يشربون ولا يجلسون ولا يستظلون، ثم يساق أهل النار إلى النار وقد تقطعت أعناقهم من شدة العطش، *يقول الحسن البصري* –رحمه الله–: "ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة و لم يشربوا فيها شربة؛ حتى انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جواعاً، ثم انصرف بهم إلى النار؛ فيسقون من عين آنية قد آن حرها واشتد نضجها.

- وفي "الصحيحين" عن أبي سعيد ﷺ عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في حديث الشفاعة الطويل:
"إنه يقال لليهود والنصارى: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار".

وهنا ينادي أهل النار على أهل الجنَّة أن يفيضوا عليهم من الماء، ولكن الجواب كما وصف رب العالمين في كتابه الكريم هذا المشهد، فقال تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} [الأعراف:٥٠]

وقفة: شرب عبد الله بن عمر –رضي الله عنه– ماء بارداً، فبكى واشتد بكاؤه، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ذكرت آية من كتاب الله، قوله تعالى: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} [سبأ:٥٤]، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً، شهوتهم الماء البارد، وقد نقل القرآن قولهم لأهل الجنَّة: {أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ } فجاء الجواب: { إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ}[الأعراف:٥٠]

فإذا أذِن الله لهم في الشراب كان شرابهم الحميم، والمهل، والغساق، والصديد. نعوذ بالله من الخذلان.

٢- *تقييد أهل النار في السلاسل والأغلال:*

فالله تعالى أعدَّ لَمن دخل النار سلاسل وأغلالاً وقيوداً، أوثق بها أهل الكفر وثاقاً لا يمكن لأحد من العالمين أن يوثقه، وهذا يُصوِّر لنا مدى النكال والعذاب والخزي الذي يعانيه أهل النار

قال تعالى: **{فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ{٢٥}** وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} [الفجر:٢٥-٢٦]

وقال تعالى: **{وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً}** [الفرقان:١٣]

وقال تعالى: **{وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ}**[إبراهيم:٤٩]

وقال تعالى: **{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً}** [الإنسان:٤]

والأغلال: جمع "غل": وهي الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه. (لسان العرب- مادة "غل")

أما السلاسل فهي جمع "سلسلة"، وهي: حلقة منتظمة من جهة الطول وكذلك الأصفاد.

والسلاسل لون من ألوان العذاب فهي تقيد الحركة، وترهق الجسد، وتذل النفس

فمن الصور المخزية هذه الأغلال التي توضع في الأعناق

قال تعالى: **{ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [سبأ:٣٣]

وقال تعالى: **{إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ}** [يس:٨]

فهي أغلال وضعت في الأعناق وبلغت الذقن، فلا يستطيع الإنسان أن يترل ذقنه إلى أسفل، فدوماً بصره شاخص إلى أعلى

وقال تعالى: **{إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ{٧١} فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ}**
[غافر:٧١-٧٢]

وقال تعالى: **{أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ }** [الرعد:٥]

- *وقال ابن عباس -رضي الله عنه- عند قوله تعالى:* {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ}[الرحمن:٤١]

قال: "يجمع بين رأسه ورجليه، ثم يقذف كما يقذف الحطب" (البعث والنشور للبيهقي: ص٢٨٦)

وأم جميل- امرأة أبي لهب – في عنقها حبل من نار قد طوقت به، قال تعالى:

{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} [المسد:٥]

وقال تعالى: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً{١٢} وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً} [المزمل:١٢-١٣]

والأنكال: هي القيود، وسميت القيود أنكالاً، لأن الله يعذبهم بها، وينكل بهم بها

وقال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ{٢٥} وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ{٢٦} يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ{٢٧} مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ{٢٨} هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ{٢٩} خُذُوهُ فَغُلُّوهُ{٣٠} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ{٣١} ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة:٢٥-٣٢]

- *قال ابن عباس* -رضي الله عنه-: *في قوله تعالى:* {ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعا}[الحاقة:٣٢]، قال: بذراع الملك[(١)]"

(تفسير الطبري: ٢٩-٦٣)

تدخل السلسلة في دبره وتخرج من حلقه، ثم يجمع بين ناصيته وقدميه، ثم ينظمونه كما ينظم الجراد في العود حين يُشوى" (تفسير ابن كثير:٥٣٥/٤)

٣- ضرب أهل النار بمقامع من حديد:

قال تعالى : {وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ{٢١} كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج:٢١-٢٢]

والملائكة تهوي بهذه المطارق على الذين يحاولون الفرار والخروج من النار، وكيف الفرار وجهنم عليهم مؤصدة، وهم في عمد ممددة، وهم في القيد والأغلال، ولكن لفح النار يجعلهم يحاولون الفرار، فلا يجدون إلا المقامع على رأسهم تهوي، وإذا هم يطرحون مرة أخرى في الجحيم، ومن لفحها وحرها يعانون.

(١) *وقال فريق من أهل العلم:* "إن المقصود بالعدد سبعون، التكثير والتضعيف، وهذا معروف في لغة العرب، فلا يراد بها حصر العدد حقيقة، وإنما للدلالة على الكثرة، يقول الزمخشري: "وجعلها سبعين ذرعاً إرادة الوصف بالطول كما قال تعالى: {إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً }[لتوبة:٨٠]، يريد مرات كثيرة، فالسلسلة إذا طالت كان الإرهاق أشد. (الكشاف:١٥٣/٤)

٤- صب الحميم فوق الرءوس (وهو ما يعرف بالصهر):

والحميم هو ذلك الماء الذي انتهى حره، فلشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم

قال تعالى: **{فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ{١٩} يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ}** [الحج:١٩-٢٠]

- وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"إن الحميم ليصب على رءوسهم، فينفذ حتى يَخْلُصَ إلى جوفه؛ فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصُّهْرُ، ثم يعاد كما كان"

- وعند الحاكم: أن أبا هريرة ﷺ تلا قوله تعالى: **{هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ}**، *"فقال:* سمعت *رسول الله* -رحمه الله- *يقول:* "إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الجُمْجُمَة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق قدميه وهو الصَّهْر، ثم يعاد كما كان".

وقد نزل قوله تعالى في شأن أبي جهل: **{خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ{٤٧} ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ{٤٨} ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}** [الدخان:٤٧-٤٩]

يقال له هذا على سبيل التقريع والاستهزاء به، فإنك كنت في الدنيا تزعم إنك العزيز في قومك، الكريم في حسبك، فذق هذا العذاب المذل المهين.

٥- الله ﷻ يذيب بعض أهلها في النار كما يذاب الرصاص:

فغي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم وفيه: "... ولا يريد أحدٌ أهلَ المدينة بشرٍّ إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص، أو ذوب الملح في الماء..." الحديث

٦- *تبديل الجلود:*

الجلود يوم القيامة تضخم وتغلظ، كما أخبر بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم-

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -رحمه الله-:

"... وغلظ جلده- أي الكافر- مسيرة ثلاثة أيام"

- *وفي رواية عند الترمذي:* "وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبَّار[١] "

- *وفي رواية للحاكم:* "وعرض جلده سبعون ذراعاً"

- والحكمة من تغليظ سمك جلد الكافر:

أن هذا أشد في الإيلام، وأكثر في العذاب، وأطول في المدة، فكلما كان الجلدُ غليظاً سميكاً تأكل فيه النار، ويطول مدة العذاب، بخلاف ما إذا كان الجلد رقيق كحال البشر الآن؛ فإنه سرعان ما يتساقط من شدة النار، مع الأخذ في الاعتبار أن نار الآخرة أشد من نار الدنيا بسبعين مرة

وهذه الجلود الغليظة كلما أكلتها النار تبدَّلت وتغيَّرت

كما قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً}** [النساء:٥٦]

- والحكمة في تبديل الجلود دون غيرها من أعضاء الجسم:

أن العلم الحديث اكتشف أن مراكز الإحساس تكون بالجلد، وهذه الحقيقة العلمية قد أخبر عنها القرآن منذ أكثر من ألف عام- كما في الآية السابقة، فكلما تساقطت الجلود من لفح النار ولظاها، بدَّلَها الله بجلود غيرها؛ ليذوقوا العذاب ويشعروا بالألم.

ومعلوم لدينا أن الجلد يحيط بجسد الإنسان كله، فإذا كان المحترق هو الجلد والذي يحتوي على الخلايا العصبية، ومراكز الإحساس؛ فإن كل خلية في الجسد تتألم وتتعذب.

اللهم إنا نسألك الجَنَّة ونعوذ بك من النار

(١) أي جبار من جبابرة البشر ممَّن كان في القرون الأولى، فقد كانوا أعظم خلقاً، وأطول ذراعاً من الناس اليوم"، - *وقال المنذري كما في "تحفة الأحوذي" (٣٧٢/٦)*: "الجبار ملك باليمن له ذراع معروف المقدار، *وقال البيهقي:* أراد التهويل، أي بلفظ الجبار، ويحتمل إرادة جبار من الجبابرة" (فيض القدير:٥٠٤/٥)

٧- السحب في النار على الوجه:

قال تعالى: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ{٤٧} يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} [القمر: ٤٧-٤٨]

ويسحبون في النار مقيدون بالقيود والسلاسل والأغلال، وهذا فيه ما فيه من التنكيل والإهانة والعذاب، قال تعالى: {... فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ{٧٠} إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ{٧١} فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} [غافر: ٧٠-٧٢]

قال قتادة: "يسحبون مرة في النار، وفي الحميم مرة" (التخويف من النار لابن رجب ص١٤٧)

٨- اندلاق الأمعاء في النار:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد -رضي الله عنه- *قال: قال رسول الله* -رحمه الله-*:*

"يجاء بالرجل يوم القيامة، فيُلقَى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان، ما شأنك، أليس كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر ﷺ في حديث طويل وفيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"..... ورأيت أبا ثمامة عمرو بن مالك يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار [١]، وإنهم كانوا يقولون: إن الشمس والقمر لا يخسفان إلا لموت عظيم، وإنهما آيتان من آيات الله يريكُمُوهُما؛ فإذا خسفا فصلُّوا حتى ينجلي"

- وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار، وكان أول من سيب السوائب [٢]"

---

(١) يَجُرُّ قُصْبَهُ: القصب هي الأمعاء.

(٢) سيب السوائب: تشريع سَنَّه عمرو للعرب، أنه حرَّم ما أحل الله تعالى، فقد حرَّم أنواع من الأنعام بأسباب لم ينزل الله بها من سلطان، كان يمنع ذبح تلك الحيوانات وحلبها والركوب عليها، *قال سعيد بن المسيب:* البحيرة التي يمنع درها للطواغيت، ولا يحلبها أحد من الناس، والسائبة التي يُسَيِّبُونها لآلهتهم، فلا يحمل عليها شيء.

٩- أنهم يصرخون في النار من شدة العذاب ولا يجدون مَن يزيل شكواهم أو ينصرهم:

قال تعالى: **{حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ{٦٤} لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ}** [المؤمنون:٦٤-٦٥]

يَجْأَرُونَ: أي يعرضون مستغيثين بربهم.

١٠- أنهم يطوفون بين جهنم وبين حميم آن-وهو الماء الذي انتهت حرارته:

قال تعالى: **{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ{٤٣} يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ}** [الرحمن:٤٣-٤٤]

١١- أن من أهل النار مَن يُلقى في مكان ضيق لا يتمكن فيه من الحركة لضيقه:

قال تعالى: **{وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً}** [الفرقان:١٣]

قال كعب: "إن في جهنم تنانير ضيقة كضيق زج رمح أحدكم، ثم يطبق على أناس بأعمالهم"

وقد مر بنا قوله تعالى: **{إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ{٨} فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ}** [الهمزة:٨-٩]

وجاء من *جملة تفسير* "العُمُد الممددة": " أنها عمد من حديد ملتهبة، يوضع فيها أهل الكفر فتحيط بهم من كل جانب - نعوذ بالله من الخذلان.

١٢- تسليط الحيَّات والعقارب على أهل النار:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان وصححه من حديث عبد الله بن الحارث ﷺ أن النبي -رحمه الله-:

"إن في النار حيَّات كأمثال أعناق البخت[1] تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة [2] تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة"

(الصحيحة: ١٤٦٥)

وكذلك هناك عقارب أنيابها كالنخل الطِّوال

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ في قوله تعالى: **{زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ}**[النحل:٨٨]، *"قال:* "زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطِّوال" (*قال الهيثمي في "المجمع":* "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)

- أورد ابن رجب -رحمه الله- في كتابه "التخويف من النار" عن ابن مسعود ﷺ في قوله:

(١) البخت: وحدها "البختية"، وهي الناقة طويلة العنق ذات السنامين.

(٢) الموكفة: المحملة.

{قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ} [ص:٦١]، *قال:* "حيَّات وأفاعي"

- وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله -رحمه الله- قال:

"مَن آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته؛ مُثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شدقه- ثم يقول: أنا مالك أنا كترك، ثم تلا:

{وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرض وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [آل عمران:١٨٠]"

١٣- إرهاق أهل النار بصعود جبل من نار في جهنم:

وقال تعالى: {وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً} [الجن:١٧]

وقال تعالى: {سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً} [المدثر:١٧]

أي سننزل به عذاباً شاقاً، يرهقه ولا يطيقه، فيكون حاله كحال مَن يكلف صعود جبل وعر، وقيل: "إنه على الحقيقة، أي سيكلفه الله يوم القيامة بصعود جبل من نار في جهنم.

١٤- أنهم جثاة على الركب:

قال تعالى:{وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً} [مريم:٧٢]

١٥- أن لهم في جهنم زفير ،لو نفخ به على أهل الأرض لأحرقهم:

قال تعالى:{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ} [الأنبياء:١٠٠]

- وأخرج البزار وأبو يعلي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -رحمه الله-:

"لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون، وفيهم رجل من أهل النار فتنفَّس؛ فأصابهم؛ لأحرق مَن في المسجد أو يزيدون" (السلسلة الصحيحة: ٢٥٠٩)

وكما أن لهم زفير فلهم فيها أيضاً شهيق

قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} [هود:١٠٦]

قال الزجاج -رحمه الله-: "الزفير من شدة الأنين وهو المرتفع جداً، وقيل الزفير:" ترديد النَّفَس في الصدر من شدة الخوف حتى تنتفخ منه الأضلاع، والشهيق: هو النَّفَس الطويل الممتد، أو رد النفس إلى الصدر".

١٦- *مسخ البعض بأشكال قبيحة:*

دليل ذلك ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"يَلْقَي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول: إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأَيّ خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرَّمتُ الجَنَّة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ [1] متلطخ؛ فيؤخذ بقوائمه، فيلقى في النار"

١٧- *أن أهل النار لا يموتون فيها، ولا يُخَفَّف عنهم العذاب، ولا هم بمخرجين:*

- أما كونهم لا يموتون فيها:

فقد جاءت الآيات القرآنية تدل على هذا، منها:-

قوله تعالى: **{لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا}** [فاطر:٣٦]

وقوله: **{لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى}** [طه:٧٤]

وقوله: **{وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ}**[إبراهيم:١٧]

- *قال ابن كثير* -رحمه الله- *في تفسير هذه الآية:* "أي يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه"

- *وقال ميمون بن مهران:* "من كل عظم وعرق وعصب، *وقال عكرمة:* "حتى من أطراف شعره"-

- *وقد بَيَّن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح:*

"أن الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح، وإذا ذبح الموت حصل اليقين بأنه لا موت، *كما قال* -رحمه الله-: "يا أهل الجَنَّة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت"

(والحديث عند البخاري من حديث ابن عمر -رضي الله عنه-)

(١) الذيخ: هو ذكر الضبع، ولا يقال له: ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر.(فتح الباري)

- أما عدم تخفيف العذاب عنهما:

فقد جاءت الآيات تدل على أنه لا يخفف العذاب عن أهل النار

قال تعالى: {وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} [فاطر:٣٦]

وقوله: {فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً} [النبأ:٣٠]

وقوله: {لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف:٧٥]

وقوله: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً} [الفرقان:٦٥]

وقوله: {فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً} [الفرقان:٧٧]

وقوله: {فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} [النحل:٨٥]

وقوله: {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} [المائدة:٣٧]

- أما عدم إخراجهم من النار:

فيدل عليه قوله تعالى: {وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة:١٦٧]

قوله تعالى:{كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا} [الحج:٢٢]

وقوله تعالى: {وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} [المائدة:٣٧]

وعدم الإخراج من النار يكون في حق الكفار والمشركين، أما عصاة الموحدين فإنهم يخرجون من النار بإذن رب العالمين-

١٨- ومن أعظم صور العذاب على أهل النار: أنهم ينسون فيها:

قال تعالى: {فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [الأعراف:٥١]

- وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"يُؤتى بالعبد يوم القيامة، فيقال له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً، وسخَّرتُ لك الأنعام والحرثَ، وتركتك ترأسُ وتَرْبَعُ، فكنت تظنَّ أنك ملاقِي يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني" (صحيح الجامع: ٧٩٩٧)

ثانياً: العذاب المعنوي:

ومن صور العذاب المعنوي:

١- تبكيت الملائكة لهم عند دخولهم النار:

قال تعالى: {٧} تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ{٨} قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ} [الملك:٨-٩]

٢- سخرية المؤمنين منهم يوم القيامة:

قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ{٢٩} وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ{٣٠} وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ{٣١} وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ{٣٢} وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ{٣٣} فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ{٣٤} عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ{٣٥} هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المطففين:٢٩-٣٦]

- يقول القرطبي -رحمه الله- في "تفسيره" (١٩/٢٦٨):

"*يقال لأهل النار وهم في النار:* "اخرجوا، فتفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فتحت؛ أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم، فيضحك منهم المؤمنون"-

وقوله تعالى: {هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}أي هل جوزي الكفار في الآخرة بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين من السخرية والاستهزاء؟ والجواب: نعم. لقوا جزاء السخرية والاستهزاء"

٣- أن الشيطان يتبرأ من أهل النار وهم الذين أطاعوه في الدنيا وخالفوا أوامر الله:

فالشيطان في الدنيا كان يدعو الناس إلى النار فأجابه الكثير، كما قال تعالى:

{أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} [لقمان:٢١]

وقال تعالى عن الشيطان: {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر:٦]

وعندما يدخل الناس النار مع الشيطان الذي دعاهم إليها، يقف خطيباً فيهم، ويصور القرآن الكريم هذا المشهد المخزي، وقال الشيطان: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم:٢٢]

٤- عدم المواساة:

من المعلوم في الدنيا أن صاحب البلاء إذا رأى غيره ممن ابتلي بمصيبته فإن ذلك يُخفِّف عنه حزنه، *وهذا ما قالته الخنساء عندما فقدت أخاها صخراً فقالت:*

ولولا كثرة الباكين حولي … على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي … ولكن أعزي النفس منه بالتأسي

فهذا في الدنيا، أما في الآخرة فإن الله حرم أهل النار هذه المواساة، فلا يواسي بعضهم بعضاً، ولا يُخفِّف بعضهم على العذاب شدة المعاناة والآلام، فالكل مشترك في العذاب، قال تعالى:

{وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} [الزخرف:٣٩]

٥- تحقير أهل النار وإهانتهم:

قال تعالى: { كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ{٤} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ{٥} نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ{٦} الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ{٧} إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ{٨} فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} [الهمزة:٤-٩]

فقوله: {لَيُنبَذَنَّ} والنبذ يستخدم للتحقير، والمهانة، والذل، يقال: "فلان منبوذ"، أي مهان محتقر، لا نصير له ولا معز، فهذا إضافة لعذابهم البدني بالنار، فإنهم يعذبون عذابا نفسياً بالمهانة والتحقير.

٦- أنهم يُمْنعُون من الكلام:

قال محمد بن كعب: "لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله ﷻ في أربعة؛ فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً،

يقولون:{رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ}[غافر:١١]

فيقول الله تعالى مجيباً لهم: {ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ} [غافر:١٢]

ثم يقولون: {رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ...}[إبراهيم:٤٤]

فيجيبهم الله تعالى: {... أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ }[إبراهيم:٤٤]،

فيقولون: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ... } فيجيبهم الله تعالى:

{...أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ} [فاطر:٣٧]

ثم يقولون:{قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ{١٠٦} رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ}

فيجيبهم الله تعالى: {قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون:١٠٦- ١٠٨]

فلا يتكلمون بعدها أبداً وذلك غاية شدة العذاب.

- *قال مالك بن أنس رضي الله عنه: "قال زيد بن أسلم في قوله تعالى:*
{سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيص} [إبراهيم:٢١]، *قال:* "صبروا مائة سنة، ثم جزعوا مائة سنة، ثم صبروا مائة سنة، ثم قالوا: **{سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ}** [إبراهيم:٢١]

٧- أنهم يرون الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزئون بهم من أهل الإيمان؛ قد فازوا بالرضا والرضوان؛ ونجوا من غضب الملك الديّان:
قال تعالى: **{وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ{٦٢} أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ}** [ص:٦٢-٦٣]

٨- أنهم يلعن بعضهم بعضاً، ويسُبُّ بعضهم بعض:
قال تعالى: **{كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا}** [الأعراف:٣٨]
ويتبرأ الكبراء من المستضعفين ويقول المستضعفون، كما قال تعالى: **{لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}** [البقرة:١٦٧]

٩- قرن أهل النار بمعبوداتهم وبشياطينهم في جهنم:
كان الكفار والمشركون في الدنيا يعظمون الآلهة التي يعبدونها من دون الله، ويدافعون عنها، ويبذلون في سبيل ذلك النفس والمال، وفي يوم القيامة يُدْخِل الحق ﷻ تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله النار، إهانة لعابديها وإذلالاً لهم، ليعلموا أنهم كانوا ضالين، يعبدون ما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً
{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ {٩٨} لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ} [الأنبياء:٩٨-٩٩]، وقال تعالى: **{احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ{٢٢}** مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصافات:٢٢-٢٣]
- *يقول ابن رجب* -رحمه الله- *كما في كتابه "التخويف من النار" (ص١٠٥):*
"لما عبد الكفار الآلهة من دون الله، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله، وتقربهم إليه، عوقبوا بأن جعلت معهم في النار إهانة لهم وإذلالاً، ونكاية لهم وإبلاغاً في حسرتهم وندامتهم، فإن الإنسان إذا قرن في العذاب بمَن كان سبب عذابه؛ كان أشد في ألمه وحسرته-
ومن أجل ذلك يقذف في يوم القيامة بالشمس والقمر في النار، ليكونا ممَّا توقد به النار، تبكيتاً للظالمين الذين كانوا يعبدونها من دون الله، *ففي الحديث الذي رواه البيهقي في "شعب الإيمان" وكذا رواه البزار أن الحبيب المختار* -رحمه الله- *قال:* "الشمس والقمر مكوران في النار"
- *يقول القرطبي* -رحمه الله-: "وإنما يجمعان في جهنم، لأنهما قد عُبِدَا من دون الله، لا تكون النار عذاباً لهما، لأنهما جماد، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم، هكذا قال بعض أهل العلم"

ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم ليكون أشد لعذابهم: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ{٣٦} وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ{٣٧} حَتَّى إِذَا جَاءنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ{٣٨} وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ}[الزخرف:٣٦-٣٩].اهـ (الجنَّة والنار لعمر سليمان الأشقر -رحمه الله- بتصرف)

- ونقل ابن كثير -رحمه الله- في "تفسيره" عن سعيد الجريري أنه قال في الآيات السابقة:

"بلغنا أن الكافر إذا بعث من قبره يوم القيامة شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله - تبارك وتعالى - إلى النار، فذلك حين يقول: {يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ }[الزخرف:٣٨]

١٠- من صورِ العذاب المعنوي: أنه يرى مكانه في الجنَّة لو أحسن ويعرض عليه:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"لا يدخل النار أحدٌ إلا أُرِيَ مقعده من الجنَّة لو أحسن، ليكون عليه حسرة"

١١- من أعظم صور العذاب المعنوي لأهل النار: حرمانهم من رؤية وجه الله الكريم:

وهي صورة من صور العذاب لأهل النار، بل هي من أشد العذاب؛ حيث يحرمون هذه اللذة والتي هي ألذ النعيم في جنَّة رب العالمين، *يقول ذو النون:* "والله ما طابت الجنَّة إلا برؤية وجهه"، لكن أهل النار حجبوا عن هذه المتعة، قال تعالى عن أهل النار: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} [المطففين:١٥]

وكذلك يُحْرَمون من تكليمه لهم، إلا كلاماً يزيدهم عذاباً، ويحرمون من تزكيته لهم وتطهيرهم

قال تعالى: {وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران:٧٧]

- وجاء في "حلية الأولياء" (١/١) عن أبي عمران الجوني -رحمه الله- أنه قال: "لم ينظر الله تعالى إلى إنسان قط إلا رحمه، ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم، ولكنه قضى أنه لا ينظر إليهم"-

١٨) أماني أهل النار:

الأُمْنيَّة الأولى: الرجوع إلى الدنيا لعمل الصالحات:

أقصى أمنية يتمناها أهل النار: هي الرجوع إلى الدنيا للتوبة وإصلاح الزاد، فعند دخولهم النار يعلو صراخهم، ويشتد عويلهم، ويدعون الله آملين أن يخرجهم من النار-

قال تعالى واصفاً حالهم: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ} [فاطر:٣٧]

وقالوا كما حكى القرآن عنهم: {رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} [غافر:١١]

وقال تعالى حاكياً قول أحدهم طلباً للرجوع: {لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ }[الزمر:٥٨]

وقال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنعام:٢٧]

وقال تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} [الأعراف:٥٣]

ويدعون ربهم قائلين: {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ [(١)]{١٠٦} رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ{١٠٧} قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}[المؤمنون:١٠٦-١٠٨]

وقال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ{١٢} وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ{١٣} فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [السجدة:١٢-١٤]

وقال تعالى: {... وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ{٤٤} وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ}[الشورى:٤٤-٤٥]، لكن كل هذه دعاوى كاذبة، فلقد أخبر الله تعالى عنهم فقال:

{... وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } [الأنعام:٢٨]

---

(١){غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا}: أي غلبت علينا أهواؤنا ولذاتنا، فسمَّى الأهواء واللذات شهوة؛ لأنهما يؤديان إليها-

الأُمْنِيَّة الثانية: تمنّي الموت:

فعندما يطلبون الرجوع إلى الدنيا، فيقابل هذا الطلب بالرفض وعدم القبول، ويقال لهم: **{اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}**وهنا يدعون بالويل والثبور، ويبقون في دار الهوان ويأتيهم العذاب الأليم من كل مكان ولا يخفف عنهم فيستريحون، ولا يقضى عليهم فيموتون-

قال تعالى: **{وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ{١٥} مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ{١٦} يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ }** [إبراهيم:١٥-١٧]

وقال تعالى: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ}** [فاطر:٣٦]

وقال تعالى: **{إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيى}** [طه:٧٤]

وقال تعالى: **{وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى{١١} الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى{١٢} ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى}** [الأعلى:١١-١٣]

- *وفي حديث أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي* -رحمه الله-:

"أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون..." الحديث

- وهنا يتمنَّى أهل النار الموت

قال تعالى: **{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ{٧٤} لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ{٧٥} وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ{٧٦} وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ}** [الزخرف:٧٤-٧٧]

وعندما لا يجاب إلى طلبهم في القضاء عليهم ليموتوا، ينتقلوا إلى الأُمْنِيَّة الثالثة وهي طلب الفداء.

الأُمْنِيَّة الثالثة: طلب الفداء

عندما لا يجاب لأهل النار في طلبهم الأول وهو الرجوع إلى الدنيا، فإنهم يتمنون الموت فلا يُستجاب لهم، وهنا يتمنون أن لو يقبل الله الفداء، وأي فداء هذا؟ أنه يتمنَّى أن يفدي نفسه من عذاب النار بأحب وأقرب الناس إليه، يتمنَّى أن يفدي نفسه بأبنائه وزوجته وأخيه وعشيرته بل بأهل الأرض جميعاً،

كما قال تعالى: **{يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ{١١} وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ{١٢} وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ{١٣} وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ{١٤} كَلَّا إِنَّهَا لَظَى{١٥} نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى}**(١)

[المعارج:١١-١٦]

---

(١){نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى}: يعني قلاعة للأطراف، أو جلد الرأس.

لقد قطع الهول المروع جميع الوشائح والأواصر، وحبس النفوس على همها لا تتعداه، إنه يتمنَّى أن يفدي نفسه بأعز الناس إليه، وقد كان في الدنيا يناضل عنهم، ويضحي بنفسه من أجلهم، لكنها النار التي تجعل كل إنسان يقول: "نفسي... نفسي"-

والإنسان في الدنيا اعتاد أن يخلص ويفدي نفسه بالمال إذا وقع في جرم، لكن يوم القيامة لا يمكن التخلص من عذاب النار ولو حاول أو يفدي نفسه بملء الأرض ذهباً، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ} [آل عمران:٩١]

وقال تعالى عن المنافقين: {فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الحديد:١٥]

وقال تعالى: {لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} [الرعد:١٨]

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ{٣٦} يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ}[المائدة:٣٦-٣٧]

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله –رحمه الله-:

"إن الله تعالى يقول لأهون أهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا الشرك"

- *وأخرج الإمام مسلم وأحمد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله* –رحمه الله-:

"يؤتى بالرجل من أهل الجنَّة، فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت مترلك؟ فيقول: أي رب! خير مترل، فيقول: سل وتمنَّ، فيقول: يا رب ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردَّني إلى الدنيا فأُقْتَل في سبيلك عشر مرار، لما يرى من فضل الشهادة، ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له: يا ابن آدم: كيف وجدت مترلك؟ فيقول: أي رب! شر مترل، فيقول له: أتفتدي منه بقلاع الأرض ذهباً؟ فيقول: أي رب: نعم، فيقول: كذبتَ، قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل، فيُردُّ إلى النار" (صحيح الجامع:٧٩٩٦)

الأُمْنِيَّة الرابعة: تمنّي تخفيف العذاب:

عندما يوقن أهل النار أنه لا استجابة لما طلبوا من الرجوع إلى الدنيا، أو القضاء عليهم، أو قبول الفداء فعندئذ يطلبون أن يخفف عنهم العذاب، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ{٤٩} قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [غافر:٤٩-٥٠]

الأُمْنِيَّة الخامسة: يتمنون شربه ماء:

عندما يدخل أهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، ويدخل أهلُ النارِ النارَ، ينادي أهل النار على أهل الجَنَّة، ويطلبون منهم أمراً، أتدري ماهو؟ إنهم لا يطلبون رفقتهم ولا الجلوس معهم، بل يطلبون شربة ماء؛ لتطفئ لهيب الظمأ الذي اجتمع مع لهيب النار، لكن الله ﷻ حرَّم عليهم هذا، قال تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ{٥٠} الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [الأعراف:٥٠-٥١]

- ندم وحسرة وبكاء وصراخ أهل النار ودعاؤهم بالويل والثبور:

فأهل النار يندمون ويتحسرون في يوم لا ينفع فيه ندم ولا حسرة، ولقد حكي بنا القرآن الكريم وكذا النبي الأمين- رحمه الله- حسرة أهل النار وندمهم في مواطن متعددة متفرقة فإنهم:-

- يتحسرون ويندمون عند مجيء جهنم

قال تعالى: {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرض دَكّاً دَكّاً{٢١} وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً{٢٢} وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى{٢٣} يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي{٢٤} فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ{٢٥} وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} [الفجر:٢١-٢٦]

- ويتحسرون ويندمون كذلك عند تطاير الصحف:

قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ{١٠} فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً{١١} وَيَصْلَى سَعِيراً} [الانشقاق:١٠-١٢]

- ويتحسرون كذلك على مصاحبة الأشرار وعدم اتباع الحبيب المختار -رحمه الله-:

فيقول من هذا حاله: {يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً{٢٧} يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً{٢٨} لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً} [الفرقان:٢٧-٢٩]

- وكذلك يتحسرون على فعلهم للذنوب ومحاربة علام الغيوب، يقولون:
{يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ} [الأنعام:٣١]
يقول أحدهم: **{يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ }** [الزمر:٥٦]

- يتحسرون ويندمون عند رؤية جهنم

قال تعالى: **{وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}** [يونس:٥٤]

- يتحسرون ويندمون إذا رأوا أهل الجَنَّة إلى الجَنَّة ينصرفون وهم على النار قادمون؛

وهنا يقولون: **{يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ }** [الأنبياء:٩٧]

- يتحسرون ويندمون إذا ألقوا في النار، و لم يطيعوا في الدنيا رب العالمين ولا النبي الآمين –رحمه الله–

قال تعالى: **{يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا{٦٦}** وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا**{٦٧}** رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً} [الأحزاب:٦٦-٦٨]

- يتحسرون ويندمون على أنهم ليسوا مسلمين

قال تعالى: **{رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ}** [الحجر:٢]

- *قال ابن عباس* –رضي الله عنه–: "ذلك يوم القيامة ليتمنَّى الذين كفروا لو كانوا موحدين"

- *يقول ابن كثير* –رحمه الله– *في تفسير هذه الآية:* "إخبار عنهم إنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر، ويتمنون لو كانوا في الدنيا مع المسلمين، وقيل: "إن المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمناً، *وروى ابن جرير:* "أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية: **{رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ}** يتأولانها يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار، فيقول لهم المشركون: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا، فيغضب الله لهم؛ فيخرجهم بفضل رحمته،

فذلك حين يقول: **{رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ }** [الحجر:٢]

- ويصور لنا القرآن الكريم مدى حسرتهم، ويظهر هذا في قوله تعالى:

{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ } [هود:١٠٦]

قال الزجاج: "الزفير من شدة الأنين، وقيل: هو ترديد النفس في الصدر من شدة الخوف؛ حتى تنتفخ منه الأضلاع، والشهيق: هو النفس الطويل الممتد، أو رد النفس إلى الصدر، والمراد بهما: الدلالة على شدة كربهم وغمهم، وتشبيه حالهم بمَن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه"- (يقظة أولي الاعتبار، لصديق حسن خان: ص٧٢)

- بل تشتد حسرتهم عندما يؤتى بالموت في صورة كبش، ويذبح بين الجنَّة والنار، ويقال: "يا أهل الجنَّة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت"

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- *أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:*

"إذا صار أهلُ الجنَّة إلى الجنَّة وأهل النار إلى النار؛ جيء بالموت حتى جعل بين الجنَّة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنَّة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنَّة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم، ثم قرأ النبي -رحمه الله-: **{وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ }** [مريم:٣٩]

- بل بلغ من حسرتهم وندمهم أنهم يبكون دماً بدلاً من الدموع، وتخط هذه الدماء في وجوههم كهيئة الأخدود، كما يخط السيل في الصخر

- *فقد أخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك* ﷺ *عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:*

"يرسل البكاء على أهل النار، فيبكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم، حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود[1]، لو أرسلت فيه السفن لجرت" (صحيح الجامع ٨٠٨٣)

- *وفي رواية أخرى عند الحاكم من حديث عبد الله بن قيس* ﷺ *أن رسول الله* -رحمه الله- *قال:*

"إن أهل النـــار ليبكـــون حتى لو أجريت السفن في دمـــوعهم لجرت، وإنهم ليبكـــون الدم

- يعني- مكان الدمع" (السلسلة الصحيحة: ١٦٧٩)

- ولكن لا يجدي الصراخ، ولا تنفع الدموع، وهنا يشتد نحيبهم، وتفيض دموعهم، ويطول بكاؤهم، ويدعون بالويل والثبور، قال تعالى: **{... وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً{١١} إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً{١٢} وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً{١٣} لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً}** [الفرقان:١١-١٤]

إنها حزن وزفرات، آلام وآهات، دموع وأحزان، ندم وعويل، وليس لهم من دون الله نصير، كما قال الرب الجليل: **{أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ}** [آل عمران:٩١]

وأخرج ابن أبي الدنيا: "إن رياحاً القيس زار قوماً، فبكى صبي لهم من الليل، فبكى رياح لبكائه حتى أصبح، فسئل بعد ذلك عن بكائه، فقال: ذكرت ببكاء الصبي بكاء أهل النار في النار ليس لهم نصير، ثم بكى"

أحبتي في الله... أليس طاعة الله تعالى أهون من هذا كله؟

(١) الأُخدود بالضم: هو الشق العظيم في الأرض.

١٩) التحذير من النار:

لخطر أمر النار، وعظيم شأنها، وحتى لا يتهاون الناس بأهوالها، حذَّر منها رب العالمين عباده أجمعين وأنذرهم إياها، حتى يتَّقُوها ويحذروها، وكذا فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث حذر أُمَّتَه النار، وأنذرهم، وكذا كان السلف الكرام يحذرون الناس النار،

- أولاً: إنذار وتحذير رب العالمين:

قال تعالى: {...وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ{٣١} كَلَّا وَالْقَمَرِ{٣٢} وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ{٣٣} وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ{٣٤} إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ{٣٥} نَذِيراً لِّلْبَشَرِ} [المدثر:٣١-٣٦]

- *قال الحسن البصري* -رحمه الله-: "والله ما أُنذر العباد بشيء قط أدهى منها" (أخرجه ابن أبي حاتم)

قال تعالى: {فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى} [الليل:١٤]

- ثانياً: تحذير النبي -صلى الله عليه وسلم- أُمَّته من النار وخوفه علينا منها:

في بداية دعوة النبي -رحمه الله-، ومع نزول قوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء:٢١٤]

قام النبي -صلى الله عليه وسلم- في قومه وعشيرته وخاصته وأنذرهم وحذَّرهم من النار

- وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

"لما نزلت هذه الآية: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء:٢١٤]؛ دعا رسول الله -رحمه الله- قريشاً فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ، فقال: "يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا [١] "

(١) سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا: والبلال الماء، وشبهت قطيعة الرحم بالحرارة، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة، ومنه "بلوا أرحامكم": أي صلوها، فيكون معنى الحديث: "أنني سأصل رحمي" (قاله النووي)

- وازداد هذا التحذير حدة وقوة وشفقة على أُمَّتِه لما رأى النار، وشاهد ما فيها من أصناف العذاب والنكال.

ففي "الصحيحين" من حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- *في صلاة الخسوف أن الرسول* -رحمه الله- *قال:* "إني رأيت الجنَّة فتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، وأُريت النار فلم أرَ منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء"

- *وفي "مسند الإمام أحمد" عن المغيرة بن شعبة* ﷺ *عن رسول الله* -رحمه الله- *قال:*

"إن النار أدنيت مني حتى نفختُ حرَّها عن وجهي، فرأيت فيها صاحب المحجن، والذي بحر البحيرة، وصاحب حمير، وصاحبة الهرة"

- *وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والحاكم عن حذيفة* ﷺ *عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:*

"أُتيت بالبراق، وهو دابةٌ أبيضُ طويل، يضعُ حافرَهُ عند منتهى طرفه فلم نُزايلْ ظهره أنا وجبريل؛ حتى أتيت بيت المقدس، ففتحت لي أبواب السماء، ورأيت الجنَّة والنار" (صحيح الجامع: ١٢٨)

- *وأخرج البخاري ومسلم عن أنس* ﷺ *قال:* "خطب رسول الله -رحمه الله- خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، قال: فغطى أصحاب رسول الله -رحمه الله- وجوههم لهم خنين"

- *وفي رواية:* "بلغ رسول الله -رحمه الله- عن أصحابه شيء فخطب، فقال: "عُرِضت عليَّ الجنَّة والنار فلم أر كاليوم من الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، فما أتى على أصحاب رسول الله -رحمه الله- يوم أشد منه، فغَطُّوا رءوسهم ولهم خنين"

- *وعند الإمام مسلم من حديث أنس* ﷺ *عن رسول الله* -رحمه الله- *قال:*

"والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنَّة والنار..." الحديث

- *وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي ذر* ﷺ *عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:*

"والله لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله" (صحيح الجامع: ٢٤٤٩)

- *وعن عبد الله بن عمر* -رضي الله عنه- *قال: سمعت رسول الله* -رحمه الله- *يقول:*

"لا تنسوا العظيمين، قلنا: وما العظيمان؟ قال: الجَنَّة والنار، فذكر رسول الله -رحمه الله- ما ذكر ثم بكى حتى جرى أو بلَّ الدمعُ جانبي لحييه، ثم قال: والذي نفس محمد بيده، لو تعلمون من الأمر ما أعلم لمشيتم إلى الصعيد تحثون على رءوسكم التراب" (المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- بسند حسن)

- فلقد رأى النبي ما لم يرَ أحد، وعلم ما لم يعلمه أحد، لذا كان أخوف ما يخاف علينا من النار-

أخرج الإمام أحمد والحاكم عن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- *قال: سمعت رسول الله* -رحمه الله- *يخطب يقول:*

"أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا حتى وقعت خميصةٌ [(١)] كانت على عاتقه[(٢)] عند رجليه" (صححه الألباني في "صحيح الترغيب)

- *وعند ابن أبي شيبة بلفظ: سمعت رسول الله* -رحمه الله- *وهو على المنبر، يقول:*

"أنذرتكم النار، حتى سقط أحد عطفي ردائه عن منكبيه، وهو يقول: أنذرتكم النار، حتى لو كان من مكاني هذا لأسمع أهل السوِق، أو مَن شاء الله منهم"

- *وعند البخاري ومسلم من حديث عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله* -رحمه الله-:

"اتقوا النار، قال: وأشاح [(٣)]، ثم قال: اتقوا النار، ثم أعرض وأشاح ثلاثاً، حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمَن لم يجد فبكلمة طيبة"

وضرب النبي -صلى الله عليه وسلم- مثالاً يبيِّن لنا مدى حرصه الشديد علينا

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله -رحمه الله-:

"مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً، فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل مَن أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل مَن عصاني وكذَّب بما جئت به من الحق"

---

(١) خميصة: ثوب خز أو صوف معلم، وقيل: لا تسمي خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة، وكانت من لباس الناس-اهـ

(٢) عاتقه: صفحة عنقه-

(٣) أشاح: يعني حذَّر النار كأنه ينظر إليها، وقال الفراء: "المشيح" على معينين: المقبل عليك، والمانع لما وراء ظهره، وقوله: "أعرض وأشاح" أي أقبل-

- *والحديث كما قال أهل العلم:* "إن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه، وأشار به إليهم إذا كان بعيد منهم ليخبرهم بما دهمهم، ويفعل هذا لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظراً، فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب- اهـ باختصار (شرح النووي على مسلم:١٥/٤٨)

- وهذا الحديث يدل على مدى حرص النبي علينا، وتحذيرنا ممَّا ينتظرنا، والهول الذي رآه النبي -رحمه الله-، ولأن الأمر أكيد لا يحتمل شكًّا ولا يقبل تأجيلاً، فقد امتلأ الحديث بجملة من التأكيدات،
قال الطيبي -رحمه الله-: "في كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- جملة من التأكيدات، وهي قوله: "بعيني"، وكذلك قوله: "وإني أنا"، وكذلك قوله: "العريان" لأنه الغاية في قرب العدو، ولأنه الذي يختص في إنذاره بالصدق"
اهـ بتصرف (فتح الباري: ١١/٣١٧)

- ومع حرص النبي -صلى الله عليه وسلم- علينا وتحذيره لنا من النار، وبيانه لنا ما فيها من العذاب، إلا أن كثيراً منا يصِرُّ على إقحام نفسه فيها، وضرب النبي -صلى الله عليه وسلم- مثالاً على ذلك ليؤكد على هذه الحقيقة المؤلمة-
- *فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:*
"إنما مثلي ومثل أُمَّتِي كمثل رجل استوقد ناراً، فجعلت الجنادب [(١)] والفراش يقعن فيها، وأنا آخذ بحُجزكم [(٢)] عن النار وأنتم تقتحمون [(٣)] فيها"
- *وفي رواية عند مسلم:* "مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلِبْنه فيقتحمن فيها، قال: فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحُجزكم عن النار، هلمَّ عن النار، هلمَّ عن النار، فتغلبوني وتقحُمون فيها"
- *وفي رواية عند مسلم من حديث جابر رضي الله عنه وفيها:*
"مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وإنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون بين يدي"

(١) الجنادب: جمع "جندب"، وهو نوع من الجراد يقفز ويطير.
(٢) بحجزكم: الحجز جمع "حجزة"، وهي معقد الإزار والسراويل.
(٣) تقتحمون: *وفي رواية:* "تقحُمون"، ومعناها: تقعون.

- *نقل الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "فتح الباري" (٥٣٥/٦) عند الإمام النووي أنه قال:*

"مقصود الحديث أنه -رحمه الله- شبه المخالفين له بالفراش، وتساقطهم في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه إياهم، والجامع بينهما: اتباع الهوى وضعف التمييز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه" اهـــ

أي أن الغارق في شهواته ولذاته ومعاصيه وَصَلَ جهله إلى درجه جهل الفراشة، بل حال الفراشة أفضل من حاله.

- *يقول أبو حامد الغزالي -رحمه الله-:*

"ولكن جهل الآدمي أشد من جهل الفراش؛ لأنها باغترارها بظواهر الضوء إذا احترقت انتهى عذابها في الحال، والآدمي يبقى في النار مدة طويلة أو أبداً". اهـــ (فتح الباري: ٥٣٥/٦)

- *وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -رحمه الله-:*

"كل أُمَّتِي يدخلون الجَنَّة إلا مَن أبى، مَن أطاعني دخل الجَنَّة، ومَن عصاني فقد أبى"

(صحيح الجامع: ٤٥١٣)

ومَن خالف أوامر النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبى أن يدخل الجَنَّة، وأقحم نفسه في النار، سيندم يوم لا ينفع ندم قال تعالى: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا} [الأحزاب:٦٦]

وقفة:

فيا مَن تبارز الله بالمعصية، تب إلى الله وارجع إليه وتقرَّب إليه بالأعمال الصالحة؛ عسى أن يرضى عنك، وابْكِ مـــن خشيته عسى أن يرحمك ويقيل عثراتك، فإن الخطر عظيم والبدن ضعيف، والموت منك قريب، والله تعـــالى مطَّلـــع عليك يراك؛ فاستح منه ولا تستخف بنظره اليك، ولا تستهين بمعصيته، ولا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظـــر إلى عظمة مَن تعصيه، واملأ قلبك من خشيته قبل أن يأخذك بغتة، ولا تتعرض له وتبارزه بالمعاصي، فإنك لا طاقة لـــك بغضبه ولا قوة لك بعذابه، ولا صبر لك على عقابه، فتدارك نفسك قبل لقائه؛ لعله أن يرحمك ويتجاوز عنك.

- ثالثاً: تحذير السلف من النار:

ومن المعلوم أن العلماء أحرص الخلق على هداية الخلق وهم أرحم بهم من أمهاتهم وآبائهم.

- *نقل الغزالي* -رحمه الله- *في كتابه "الإحياء" (١/١١) عن يحيى بن معاذ* -رحمه الله- *أنه قال:*

"العلماء أرحم بأُمَّةِ محمد -رحمه الله- من آبائهم وأمهاتهم، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا، وهم يحفظونهم من نار الآخرة".

- *وها هو أبو موسى الأشعري* ﷺ: "كلما خرج من مترله يوصي امرأته ويقول لها: "شدي رحلك فليس على جسر جهنم معبر" (قصر الأمل لابن أبي الدنيا: ص١٠٨)

- *وكان مالك بن دينار* -رحمه الله- *يقول:*

"لو وجدنا أعواناً لفرقتهم ينادون في سائر الدنيا كلها: يا أيها الناس، النار... النار" (حلية الأولياء":٣/٣٦٩)

- *وكذا قال أبو الجوزاء:* "لو وُليت أمر من أمر الناس شيئاً؛ اتخذت مناراً على الطريق، وأقمت عليه رجالاً ينادون في الناس: النار... النار"

- *وقال قتادة* -رحمه الله-: "وقد ذكر شراب أهل جهنم، وهو ما يسيل من صديدهم من الجلد واللحم، فقال: هل لكم بهذا يدان، أم لكم عليه صبر؟ طاعة الله أهون عليكم يا قوم، فأطيعوا الله ورسوله" (لطائف المعارف: ص١٤٢)

نسيتَ لظى عند ارتكابك للهوى ... وأنت توقي حر شمس الهواجر.

٢٠) الخوف عند ذكر النار:

إن الخوف عند ذكر النار هو الذي يدفع الناس إلى الإقلاع عن الذنوب، وطاعة علام الغيوب، بل يدفعهم كذلك إلى الانكفاف عن دقائق المكروهات، والتشمير إلى نوافل الطاعات، ولا ينبغي أن يدفع هذا الخوف الناس إلى اليأس والقنوط والإحباط، فهذا خوف مذموم غير مطلوب، وكذلك إذا قلَّ هذا الخوف بحيث لا يكف العبد عن المعاصي، ولا يحمله على فعل الطاعات؛ فهو خوف قاصر مذموم، وهو كالقضيب الضعيف الذي تُضرَب به دابة قوية فلا يؤثر فيها ولا يسوقها إلى المقصد.

- *قال ابن رجب* -رحمه الله- *في كتابه "التخويف من النار" (ص١٨):*

"والقدر الواجب من الخوف ما حمل على اداء الفرائض، واجتناب المحارم، فإذا زاد على ذلك بحيث صار باعث للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسيط في فضول المباحات؛ كان ذلك فضلاً محموداً، فإن تزايد على ذلك أورث مرضاً أو موتاً أو همًّا لازماً بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله ﷻ لم يكن محموداً" اهـ

أخي الحبيب... اجعل هذا الخوف ملازم لقلبك

يقول أبو حامد الغزالي -رحمه الله- *كما في كتابه "الإحياء" (٤/٥٢٥):*

"ولست أعني بالخوف رقة كرقَّة النساء، تدمع عينيك ويرق قلبك حال السماع، ثم تنساه على القرب، وتعود إلى

لهوك ولعبك، فليس هذا من الخوف في شيء، بل مَن خاف شيئاً هرب منه، ومن رجا شيئاً طلبه، فلا ينجيك إلا خوف يمنعك عن معاصي الله تعالى، ويحثك على طاعته، وأبعد من رقة النساء خوف الحمقى، إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة، فيقول أحدهم: نعوذ بالله، اللهم سلِّم سلِّم،

وهم مع ذلك مُصِرُّون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم، فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على مَن يقصده سبع ضار في صحراء، ووراءه حصن، فإذا رأى أنياب السبع وصوته من بعد قال بلسانه: أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدة بنيانه، وإحكام أركانه، فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه، فأنَّى يغني عنه ذلك من السبع؟!. اهـــ

وهذا حال الكثير منَّا، يستعيذ من النار، ومن غضب الجبَّار، ومع ذلك هو يقحم نفسه فيها، فيتجرأ على المعاصي، ولا يفعل الطاعات، وذلك لأن الخوف من النار قاصر، وكما قيل: ليس الخائف مَن يبكي ويمسح عينيه، بل مَن يترك ما يخاف أي يعاقب عليه-

- *وكان الحارث المحاسبي يقول لأصحابه:*

"اجعلوا الأهوال التي بين أيديكم على بالكم؛ لعل أن تتوبوا عن المعاصي قبل موتكم، فإنه ما من أحد يعصي ربه ﷻ إلا وهو ناسٍ للحساب ومقاساة الأهوال-

- فـضـــائـــل الـــخـــوف:

مما لا شك فيه أن الخوف سبيل لتحصيل الخيرات، والمبادرة لفعل الطاعات

يدلك على هذا الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -رحمه الله-:

"مَن خاف أدلج[1] ، ومَن أدلج بلغ المترل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجَنَّة"

(صحيح الجامع:٦٢٢٢)

والمراد بالحديث هو التشمير عن الطاعة، وكذلك يكون المعنى: أن مَن خاف ألزمه الخوف السلوك إلى الآخرة، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة؛ خوفاً من القواطع والعوائق-

١- *فالخوف من النار يدفع إلى العمل الصالح والإخلاص فيه:*

قال تعالى: **{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً{٩} إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً}** [الإنسان:٩-١٠]

أي نخاف يوماً طويلاً شديد هوله، عظيم أمره، تعبس فيه الوجوه من شدة ما ترى-

(١) أدْلج: باسكان الدال: ومعناه: سار من أول الليل.

٢- *الخوف سبب للبعد عن المعاصي:*

قال تعالى: {قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ{١٥}مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ} [الأنعام:١٥-١٦]

فالخوف المحمود يحرق الشهوات المحرمة؛ فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهاً عند مَن يشتهيه إذا عرف أن فيه سُماً، فتحرق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الخضوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد، بل يصير الإنسان الخائف مستوعب خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، والضنة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس بالخطرات، والخطوات والكلمات، ويكون حالة حال مَن وقع في مخلب سبع ضار، لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت، أو يهجم عليه فيهلك، فيكون بظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره، فهذا حال من غلبه الخوف-

٣- *الخوف سبيل للانتفاع بكلام الله:*

قال تعالى: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ}   [ق:٤٥]

٤- *الخوف سبب الوقاية من عذاب الله:*

قال تعالى: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ{٢٥} قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ{٢٦} فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ{٢٧} إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ}[الطور:٢٥-٢٨]

وبالجملة: مَن خاف الله في الدنيا وأشفق من عذابه أَمَّنه الله تعالى يوم القيامة

فقد أخرج ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"*قال الله تعالى:* "وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي أمنين، ولا أجمع عليه خوفين، فإن أَمِنَني في الدنيا خوَّفته يوم القيامة، وإن خافني في الدنيا أمَّنته يوم القيامة"

(صحيح الجامع: ٤٣٣٢)

- خوف الملائكة من النار:

والملائكة وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم، ولم يرتكبوا ذنباً، ولم يقترفوا خطيئة، ومع هذا فهم على خوف من النار

- *فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله -رحمه الله- لجبريل:*

"ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط؟ قال: ما ضحك ميكائيل منذ خُلِقَت النار"

فهذا حال الملائكة التي قال الله عنها: **{لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}** [التحريم:٦]

فكيف بنا نحن أصحاب الذنوب والمعاصي والغفلة؟! نسأل الله العفو والعافية

- خوف السلف من ذكر النار:

- *ها هو عمر بن الخطاب ﷺ:* "سمع رجلاً يتهجَّد في الليل ويقرأ سورة الطور، فلما بلغ قوله تعالى: **{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ{٧} مَا لَهُ مِن دَافِعٍ}** [الطور:٧-٨]، قال عمر: قَسَمٌ حق ورب الكعبة، ثم رجع إلى مترله فمرض شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه-

- *وكان ابن عباس -رضي الله عنه- يصف أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- للتابعين فيقول:*

"كان الصحابة قلوبهم بالخوف ملأى، وأعينهم باكية، يقولون: كيف نفرح والموت ورائنا، والقبر أمامنا، والقيامة موعدنا، وعلى الصراط مرورنا، والوقوف بين يدي الله مشهدنا"-

- *وها هو أبو هريرة ﷺ:*

"يبكي في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أما أني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري، وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي"-

- *وكان معاذ بن جبل ﷺ يقول للتابعين:*

"يا قوم والله إن المؤمن لا يسكن روعه، ولا يهدئ خوفه، حتى يترك جسر جهنم وراءه" (الإحياء: ١٩٨/٤)

- *وها هو سفيان الثوري* -رحمه الله-: *يقول عنه عبد الرحمن بن مهدي:*

"ما كان سفيان الثوري ينام إلا أول الليل، ثم ينتفض فزعاً مرعوباً ينادي: النار... النار، وكان يقول: شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ ويقول على أثر وضوئه، اللهم إنك عالم بحاجتي، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار" (هلم عن النار: ص٤)

- *ويقول موسى بن مسعود عن سفيان الثوري:*

"كنا إذا جلسنا إلى سفيان، كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه".

- *وفي هذا المعنى يقول عبد الله المبارك:*

إذا ما الليل أظلم كابدوه	فيسفر عنهم وهـم ركـوع
أطار الخوف نومهم فقاموا	وأهل الأمن في الدنيا هجوع

- *وها هو الحسن البصري* -رحمه الله-:

"كان إذا تكلَّم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها، وكان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه، وإذا جلس فكأنه أسير أمر بقطع رقبته، وإذا ذكرت النار بكى وكأنها لم تخلق إلا له".

- وكان الحسن صائماً ذات يوم، فأُتِيَ بكوز من ماء ليفطر عليه، فلما أدناه إلى فيه؛ بكى، وقال: ذكرت أمنية أهل النار وقولهم: **{أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ...}** وذكرت ما أجيبوا: **{... إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ}** [الأعراف:٥٠]

- وصبَّ بعض الصالحين على رأسه ماءاً من الحمام فوجده شديد الحر، فبكى ،وقال: ذكرت قوله تعالى: **{يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ}** [الحج:١٩]

- *وها هو مالك بن دينار:*

"تقول له ابنته: يا أبتِ، ما لك لا تنام والناس ينامون؟ فقال: إن النار لا تدع أباك ينام"

- *وهذا رجل يدعى صهيب وهو من الموالي:*
"كان إذا ذكر الجَنَّة طال شوقه، وإذا ذكر النار طار نومه" (ترطيب الأفواه: ٢/١٥٣)

- *عليٌّ بن الفضيل:*"صلَّى خلف أبيه، فقرأ الفضيل: **{الْحَـــاقَّةُ}** في الصبح، فلمـا بلغ إلى قوله تعـــالى: **{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ}**غلبه البكاء، فسقط ميتاً، *وقيل:*"إن سبب وفاته ليست هذه الآية، *فقد قال إبراهيم بن بشار:* "الآية التي مات فيها علي بن الفضيل في سورة الأنعام، وهي قوله تعالى:
{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنعام:٢٧] ؛ فمات علي بن الفضيل، وكنتُ فيمن صلَّيتُ عليه"

- *عمر بن عبد العزيز* -رحمه الله-: "كان إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، ويبكي حتى تجري دموعه على لحيته، وبكى ذات ليلة فبكت لبكائه فاطمة(زوجته)، فبكى أهل الدار لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما تجلَّت عنهم العبرة، قـــالت فاطمة: "بأبي أنت يا أميـــر المؤمنيـــن ممَّ بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة منصرف القوم بين يدي الله ﷻ، فريق في الجَنَّة وفريق في السعير، ثم صرخ وغشي عليه"

- وفي ذات ليلة كانت مولاته تتهجد، وغلبها النوم فنامت، ثم استيقظت وهي فرحة، وجاءت لعمر ابن عبد العزيز، وهو يتهجَّد - عليهم جميعاً رحمة الله — فقالت: يا سيدي رأيت أن القيامة قد قامت، وأن جهنم زفرت، ووضع الصراط على متنها، وبدأ الناس يمرون، فجاء عبد الملك بن مروان فوالله ما هو إلا يسير حتى انكفأ به الصراط، فهو يهوي في نار جهنم،
ثم جيء بابنه الوليد، ثم هو يسير حتى انكفأ به الصراط فهو يهوي في نار جهنم، فقال لها عمر: هِيِ،
قالت: ثم جيء بسليمان بن عبد الملك، فما هو يسير حتى انكفأ به الصراط فهو يهوي في نار جهنم قال لها عمر: هِيِ، قالت: ثم جيء بك، فلما قالت له: جيء بك، بدأ يبكي ويفحص (يفرك) برجليه كما يفحص المذبوح، وهي تقول: والله يا أمير المؤمنين نجوت، والله يا أمير المؤمنين نجوت" -

- *يقول يزيد بن حوشب* -رحمه الله-: "ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما" (التخويف من النار لابن رجب)

جليس عمر بن عبد العزيز:

عن إبراهيم بن محمد البصري قال: "نظر عمر بن عبد العزيز إلى رجل عنده متغيِّر اللون، فقال له: ما الذي أرى بك، قال: أسقام وأمراض يا أمير المؤمنين، إن شاء الله، فأعاد عليه عمر، فأعاد عليه الرجل مثل ذلك ثلاث مرات، فقال: إذا أبيت إلا أن أخبرك، فإني ذقت حلاوة الدنيا فصغر في عيني زهرتها وملاعبها، واستوي عندي حجارتها وذهبها، ورأيت كأن الناس يساقون إلى الجَنَّة وأنا أساق إلى النـــار، فأسهرت لذلك ليلـــي، وأظمـــأت له نهـــاري، وكل ذلك صغير حقيـــر في جنب عفو الله وثـــواب الله عز وجل وجنب عقابه"

("التخويف من النار" للحافظ ابن رجب)

وصدق والله، فمَن أراد الرَّاحة ترك الرَّاحة

- وعوتب يزيد الرقاشي على كثرة بكائه وقيل له:

"لو كات النار خلقت لك ما زدت على هذا، فقال: وهل خلقت النار إلا لي ولأصحابي ولإخواننا من الجن والإنس، أما تقرأ: **{سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ}** [الرحمن:٣١]، أما تقرأ: **{يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ}** [الرحمن:٣٥]؛ فقرأ حتى بلغ: **{يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ}** [الرحمن:٤٤]، وجعل يجول في الدار ويصرخ ويبكي حتى غشي عليه". (التخويف من النار للحافظ ابن رجب -رحمه الله-)

- وكان يزيد بن مرثد يبكي كثيراً ويقول:

"والله لو تواعدني ربي أن يسجني في الحَمَّام، لكان حقي أن لا أفتر من البكاء، فكيف وقد تواعدني أن يسجنني في النار إن عصيته".

وهكذا كان حال السلف وخوفهم من النار وغضب الجبار، وكيف لا يخافون؟!

- وقد سمعوا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول:

"لو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار"   (رواه مسلم)

- *وفي رواية:* "لو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار"

كيف لا يخافون؟! وقد سمعوا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول في حديث له:

"... فلما خلق الله النار، قال: يا جبريل، اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: وعزَّتك لا يسمع بها أحدٌ فيدخلها، فحفها بالشهوات، ثم قال: يا جبريل، اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فقال: أي رب، وعزَّتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها"   (رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي، وهو في صحيح الجامع:٥٢١٠)

- وصية لإصلاح القلوب:

- *جاء في حديث طويل عند مسلم أن حنظلة الأُسيدي رضي الله عنه قال لأبي بكر رضي الله عنه:*

"نكون عند رسول الله -رحمه الله- يذكرنا بالنار والجنَّة حتى كأنَّا رأي عين"

فيا أخي الحبيب... اجعل وصف جهنم وحال أهلها أمامك كأنك تراها رأي العين، اجعله لا يغيب عنك طرفة عين؛ وعندها ستتغير أحوالك.

فوالله لو كُشِف الحجاب عن الناس لحظة ليروا النار وما أعد الله فيها من العذاب والنكال، ويروا الجنَّة وما أعد فيها من النعيم المقيم؛ لأفنوا أعمارهم في طاعة الله، وما همَّ أحدهم بمعصية فضلاً عن فعلها، لكن شاء الله أن يختبر عباده بالغيب، والإيمان بالغيب أول صفة عباد الله المتقين؛ كما قال تعالى:

{الم{١} ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ{٢} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ...} [البقرة:١-٣]

- *وأخرج الطبراني في "المعجم الكبير" عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله* -رحمه الله- *قال:*

"إن الله تعالى يقول: ثلاثُ خلالٍ غيَّبتهن عن عبادي لو رآهن رجل ما عمل بسوء أبداً، لو كشفت غطائي فرآني حتى استيقن ويعلم كيف أفعل بخلقي إذا أتيتهم، وقبضت السموات بيدي، ثم قبضت الأرضين، ثم قلت: أنا الملك مَن ذا الذي له الملك دوني، وأريهم الجنَّة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنوها، وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها، ولكن عمداً غيَّبتُ ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون، وقد بيَّنته لهم".

- *يقول إبراهيم التيمي* -رحمه الله-:

"مثلتُ نفسي في الجنَّة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أي شيء تريدين؟ قال: أريد أن أُردَّ إلى الدنيا فأعمل صالحاً، قال: ها أنتِ في الأُمْنِيَّة فاعملي"

فلنتب إلى الله، ولنعمل، ولنجتهد فنحن في أمنية كثير من الأموات

وأخـــيـــراً:

وبعد هذا العرض لوصف النار وأهلها، أما آن للقلوب أن تخشع، وللجوارح أن تذل وتخضع، وللعيون أن تدمع، أما آن للمعرض أن يعود، آما آن للعاصي أن يتوب، أليس الصبر على طاعة الله أهون من عذاب النار؟

أحبتي في الله... أُذكِّركم بقوله تعالى: **{كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ}** [الملك: ٨]

خزنة النار في عجب ممَّن سمع عن النار وما فيها من العذاب والنكال، ثم يدخلها-

ولما رأى جبريل النار، فقال لرب العالمين: " وعزَّتك لا يسمع بها أحدٌ فيدخلها"

فالعجب كل العجب ممَّن سمع عن النار، ثم يقحم نفسه فيها.

والنبي -صلى الله عليه وسلم- كان يَتَعَجَّب ممَّن يريد الهروب من النار، كيف ينام؟!

فقد أخرج الترمذي والطبراني في "الأوسط" عن أنس ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"ما رأيت مثل الجَنَّة نام طالبها، ولا مثل النار نام هاربها" (السلسلة الصحيحة: ٩٥٣)

- وكان أحمد بن حرب يقول:

"يا عجباً لَمن يعرف أن الجَنَّة تُزيَّن فوقه، والنار تُسعَّر تحته، كيف ينام بينهما؟"

- تقول ابنة الربيع بن خثيم: "يا أبتِ، ما لك لا تنام والناس ينامون؟ فقال: إن النار لا تدع أباك ينام" (وكذا قال مالك بن دينار لابنته) (التخويف من النار: ص٢٤)

وكيف تنام العين وهي قريرةٌ و لم تدرِ في أي المكانين تنزل؟!

فيا عجباً... لعينٍ تنام وطالبها لم ينم!! متى تحذر مما توعَّد وتهدَّد؟!

ومتي تضطرم نار الخوف في قلبك وتتوقَّد؟!

إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدَّد؟!

إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وإن شدد؟!

إلى متى أنت بين الفتور والتواني تتردَّد؟!

متي تحذر يوماً فيه الجلود تنطق وتشهد؟!

فيا عجباً... بمَن يريد الفرار من النار وهو مصرٌّ على المعاصي والذنوب والأوزار

ويا عجباً... ممَّن يريد دخول الجَنَّة والفوز برؤية وجه الله الكريم و لم يقدِّم الثمن

نعم... كُلُّنا قد أيقن بالموت ولا نرى له مستعدًّا

وكُلُّنا قد أيقن بالجَنَّة ولا نرى لها عاملاً

وكُلُّنا قد أيقن بالنار ولا نرى لها خائفاً

أحبتي في الله... اجلعوا ما قد سمعتموه عن النار نذيراً يصيح فيكم ليل نهار: اتقوا النار... اتقوا النار ولو بشق تمرة، اتقوا النار ولو بكلمة طيبة، اتقوا النار فإن قعرها بعيد، وحرَّها شديد، ومقامعها من حديد.

– فيا مَن ضيع أوراق هويته، وتاه عما خلق له، يا مَن كلما وعى لهى، متى تنتبه من غفلتك؟ متى تستيقظ من رقدتك؟ متى تفيق من سكرتك؟ متى تعمل لمصرعك؟

– قارن بين الدنيا والآخرة، وبين الخلود والفناء، وبين التعب والعناء، والراحة والهناء.

قارن بين الجَنَّة والنار، بين الفوز والخسار، بين النعيم والجحيم، والسعادة والعذاب ثم اختر ما بدا لك.

فإذا بان لك الحق وظهر لك الطريق؛ فلتبدأ بالمسير قبل المصير، واعلم أن الطريق طويل، لكنه مع الشوق يهون، وبالصبر يسهل، والزاد فيه طاعة الرحمن ومخالفة الشيطان.

وفي نهاية الطريق ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر

ستكون هناك في جنة النعيم مع سيد المرسلين -رحمه الله-، وتتمتع بلذة النظر إلى وجه الله الكريم.

والله أسأل أن يختم لنا جميعاً بخاتمة السعادة، وأن يرزقنا الجَنَّة والزيادة.

آميـــــــــــــــــــــــــــــــــــن...

آميـــــــــــــــــــــــــــــــــــن...

آميـــــــــــــــــــــــــــــــــــن

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعـــان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّـــي ومـــن الشـــيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيـــق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا   جلّ مَن لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.........

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك